سلسلة دراسات الفكر المهدوي ٤

# معالم القيام المهدوي

## طلائع الظهور ووظائف المنتظرين

الشيخ علي كريم

مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

# معالم القيام المَهدويّ
# طلائع الظُّهور ووظائف المُنتظرين

-الشَّيخ علي كَريّم-

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٤ م - ١٤٤٥هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سلسلة دراسات الفكر المهدوي ٤

# معالم القيام المهدوي

## طلائع الظهور وظائف المنتظرين

الشيخ علي كريم

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

# سِلسِلةُ دِراساتِ الفِكرِ المَهدَويّ

تُمثِّـل فكـرةُ المُخلِّص قضيّـةً محوريّـةً في الفكر الإنسـانيِّ عامّـةً، وفي الفكرِ الإسـلاميِّ على وجه الخصـوص، وتأتي تحت عنوان القضيّـة المهدويّة. والجدير بالذِّكر أنَّ المَهدويّةَ في الفكر الإسـلاميِّ ليسَـت مُجرَّدَ نظريّة تَرتبط بالفقه السِّياسيِّ وطَبيعة الحُكم في الإسلام، بل لها أبعادٌ عقائديّةٌ وحضاريّةٌ تَتعلَّق بنظريةِ الاستخلاف الإلهـيِّ في الأرض: ﴿**وَنُرِيـدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْـتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾، وبالتَّكاليف المُوجِّهة للإنسـان في سَعيه المُفترَض نحو الكـمال، وهي تكاليفُ تتعلَّـقُ أولاً بتأمين الأرضيّـة الصّالحة لظُهـور المُخلِّص، وبالمُواصفاتِ التي يَنبغي توافُرُها في الأنصار من أجلِ الظُّهور المُبارَك، وهي ترتبط ثانيًا باسـتنفادِ الأطاريـحِ الخادعة والمُضلِّلة التي تدَّعي أنَّها تُقـدِّمُ الحلولَ النِّهائيّةَ للبَـشر ولتَحقيـقِ العَدالة، ثم هـي ثالثًا تَرتبطُ بمَوضـوعِ القيادة المُرتبطـة بالإمامة المَعصومة كمَرجعيّة أصيلة في قيادة الحكومة البشريّة نحو خلاصها وسعادتها.

من هنا، تأتي هذه السِّلسـلةُ لتُحاولَ تَبيـينَ إرهاصاتِ هذه الحكومة، وهَيكليّتها، وتَعريفهـا لذاتها وواقعها، وطريقة تَعاطيها مـع التَّناقُضات الأزليّة في عالم التَّزاحُم والصِّراعات، كما تُقدِّمُ النَّظريّةَ الإسـلاميّةَ لفكرة المَهدويّة في أبعادها الاستراتيجية والسِّياسيّة والاجتماعيّة وحتَّى الفَرديّة، بلُغة مُعاصرة، وبمَنهجيّة علميّة، تَفتحُ الآفاقَ العَملية أمامَ التَّوّاقينَ إلى خلاص البَشريّة، وتُقدِّمُ تصوُّرًا عَمليًّا عن «البديل»؛ لتُثبتَ أنَّه مُمكنٌ، وواقعيٌّ، وقريب؛ ولِيَعرفَ المُمَهِّدونَ تكليفَهم في طريق التَّمهيد للظُّهور المُبارَك، ومَوقعَهُم من النَّظريّات العلميّة والأحداث السِّياسـيّة، ويَسـيرَ المَهدويُّونَ على بَصيرة؛ ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ** ﴾.

## مقدِّمة:

إنَّ قضيّـة المُصلِح العالميِّ أو المُخلِّص الأمميِّ هي قضيّةٌ إنسـانيّةٌ قبل أن تكون دينيّة، هي عنوانٌ عامٌّ لطُموحٍ مشروعٍ يتَّسم بالرُّقيِّ والسُّموِّ، تتَّجه إليه اليشريّةُ بمختلف أديانها ومذاهبها وانتماءاتها.

هي ظهورٌ وتَجَلٍّ لفطرةٍ مُلهَمة أدركت أنَّ هذه البشريّة المُتعَبة والمُرهَقة، التي عانَت على مرِّ التاريخ تقلُّبات ومدًّا وجَزرًا، يحقُّ لها أن تستريح بعد كلِّ هـذا الأنـين والعَناء، وتنبّـأتْ أيضًا بأنَّ يومًا موعودًا سـوف يأتي لكي تتحقَّق فيه رسالاتُ السَّماء بمعانيها ومغازيها ومآلاتها.

إنَّ هذا الإيمانَ بوجود المخلِّص يَظهر بشكلٍ واضحٍ في الأديان الإبراهيميّة، فنجد (المَهديَّ) في الإسـلام، و(المسـيح) في المسـيحيّة، و(المشيحا) في اليهوديّة، باعتبار أنَّ الدِّينَ يَدعم هذا الشُّـعورَ النَّفسيَّ العامَّ، ويَرفده بالرَّوافد الفكريّـة والمعنويّـة، بل يُعطي الفكرة زخـمًا جديدًا، ويجعـل منها مصدرًا للعطـاء والقوّة[1]. ومع وضوح الفكرة في الدّيانات السَّـماويّة السّـابقة فإنَّنا نجدها أيضًا حتّى في أكـثر الأيديولوجيّات ماديّةً، فهذه الماديّة التاريخيّة أو

1 - راجع: محمد باقر الصدر: بحث حول المهدي، ص.ص. 7-12.

الجدليّة، التي فسَّرَت التَّاريخَ والمُستقبلَ على أساس مبدأ التَّناقُض، تَعتقد بأنَّه سوف يأتي اليومُ الموعود الذي يَزول فيه كلُّ تناقض ويحلُّ الوئامُ والسَّلام، ونحوُ ذلك ما يُعلِّقونَه من آمالٍ على اللِّيبرالية الغربية على أنَّها النِّظام الأكمَلُ الذي يَنبغي أن تبلُغَه كلُّ البشريّة على حدِّ مقالة فوكوياما في كتابه[1].

لا يُمكِنُ لهذا المُصلِح أو المُخلِّص أو المُنقِذ العالميِّ، على اختلاف التَّعبير عنه، أن يُحقِّق مشروعَه المَنشودَ من دون دولةٍ تكون لها خصائصُ ومميِّزات، وتتَّصف بمعالم محدَّدة وتمُهِّد لها إرهاصاتٌ.

من هنا تبرزُ أهميّةُ بحث هذه المسألة، فهي ليست مُجرَّدَ فضولٍ علميٍّ، ولا نزعةً فطريّةً لاكتشاف المجهول، وإنَّما هي ذاتُ مدلولاتٍ تَرتبط بالمسارات العقائدية والسِّياسية التي تَختارها كلُّ أيديولوجية من الإيديولوجيّات المختلفة؛ بحيث تُحاول أن تَرسم صورةَ ذلك المستقبل، ومعالمَ تلك الدَّولة العالمية، بما يتناسب مع مُبتنياتها المعرفيّة.

فأمَّا النَّظرةُ الإسلاميّة للمُخلِّص فهي مُستمَدّةٌ من الوحي، وتتحدَّث عن المستقبل البعيد للبشرية، ومن هنا فإنَّ المعلومات التي تُقدِّمُها هي معلوماتٌ مستندة إلى معطياتٍ يَقينية لا تَقبل الخطأ؛ فهذه المسألةُ لا يُمكِنُ اكتشافُها بأدواتنا المَعرفيّة التَّحليلية أو العقلية، ولذا فإنَّ مصدرَنا الوحيدَ هو اعتماد التُّراث الدِّينيِّ الصَّادر عن أهل بيت الوَحي والنُّبوة عليهم

---

١ - راجع: فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير.

السـلام، وبمقدار ما يكون هذا التُّراث الدِّينيُّ دقيقًا فإن معلوماتِنا ستكون دقيقـةً، إلّا أنَّ هذا لا يُلغي إمكانيّة إثبات الدَّولة المَهدويّة وما تتضمَّنُه من خصائص وَفقًا للرُّؤية الشَّـاملة للتاريخ البشري وحركة المسـيرة الإنسانية في مَبدئِها، وغايتها، ومراحلها الكبرى، في قوانينها وسُننها، ومنتهاها، وما بعد نهايتها، أي وَفقًا لفلسفة التاريخ.

لقد تصـدَّى بعـضُ الباحثين والمحاضريـن للكتابة حـول معالم دولة الإمـام، أو الإرهاصات السـلبيّة للدَّولة المهدويّـة، أو إرهاصات الظُّهور السياسـيّة والعسـكريّة والكونيّـة، إلّا أن هـذه الدراسـة تتميَّـز بمحاولة الجمع بين الإرهاصات السـلبيّة، بحيث يَحرص الفـردُ منّا على ألّا يكون جـزءًا منها، والإرهاصات الإيجابيّة المُرتبطـة بالانتظار الإيجابي وتعجيل الفرج، بحيث تُركِّز على الإرهاصـات ذات البُعد الاجتماعي والتَّحصيني والاستنهاضي، على المسـتوى الفردي والمستوى الاجتماعي، فضلاً عن محاولـة ربط القضيّة المهدويّة بمختلف تجلِّياتها من الانتظار إلى الظُّهور إلى الدولة، بموضوع السُّـنن والقوانين الحضاريّة القرآنيّة والتاريخيّة، عبر التَّركيز على بُعدها الحضاري، وكونها النَّموذجَ الأرقى لما يَطمح إليه الفردُ والجتمع من العيش في نموذج الحياة الطيِّبة، مع ربط كلِّ ذلك بالتَّطبيقات الواقعيّـة الحديثة والمعاصرة؛ أي محاولة الانطلاق من التَّطبيق في نسـج بنـود النظريّة، وصـولاً إلى الإضاءة على أهمِّ المبـادئ والمنطلقات لهذه الدَّولة وهذا المشروع، واستعراض معالمِه المُشكِّلة والمُمثِّلة له.

# الفصل الأوّل:
# إرهاصات الدَّولة المَهدويّة

## ● المبحث الأول: الإرهاصات المُستلزِمة للتَّغيير في الدَّولة المهدويّة

ورد عـن داود بن الحصين، عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمد عـن آبائه (عليهم السـلام) قال:" قال رسـولُ الله (صلى اللـه عليه وآله): المَهديُّ من وَلدي، اسـمُهُ اسـمي، وكُنيتُه كُنيتي، أشـبَهُ النَّـاسِ بي خَلْقًا وخُلُقًـا، تكونُ له غَيبةٌ وحـيرةٌ حتى تَضِلَّ الخلقُ عـن أديانهم، فعندَ ذلكَ يُقبِلُ كالشِّهاب الثاقب، فيَملؤُها قسطًا وعَدلاً كما مُلئَت ظُلمًا وجَورًا"[1].

هذه الرِّواية المَشـهورة والتأسيسـيّة في القضيّة المَهدويّة تُشـير إلى عدّة نـكات، فهي تُحدِّد اسـمَ الإمام وكنيتَـه وخَلْقَه وخُلُقَـه، وتربطها بالمبدأ الإسلامي الأصيل، وهو النبيُّ الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ، وكذلك الإشارة الواضحة إلى الغَيبة، باعتبارها مفصلاً تاريخيًّا مركزيًّا، يُشـكِّلُ محورَ الابتلاء والامتحان لقافلة البشريّة، إلّا أنَّ أهمَّ إشارةٍ تُشير إليها هذه الرِّواية هي أنَّ الإمام (عج) سـيَملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا، لا كما توهَّم البعضُ وبَنى على ذلك الفهمِ الخاطِئِ مَبانيَ خاطئة، وهي أنَّ الإمام سيَملأ الأرضَ قسـطًا وعدلاً بعدَما مُلِئَت ظلمًا وجورًا، فبدأ يُنظِّر للانتظار السَّـلبيِّ وعدم

---

١ - محمـد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٥١، ص٧٢، باب ما ورد من إخبار الله والنبي صلى الله عليه وآله بالقائم عليه السلام من طرق الخاصة والعامة، ح ١٦.

الاستعداد، باعتبار أنَّ امتلاء الأرض بالظُّلم والجور هو أمرٌ حتميٌّ، ولذلك فلندَعْ ذلك يَحصل أو فلْنُساعِدْ به على بعض المبادئ الباطلة.

إنَّ هذا الفهمَ المغلوط والخاطِئَ يُشكِّلُ مخالفةً فاضحة لمفاهيم القرآن، التي تَدعو إلى رفض الظُّلم، وعدم الرُّكون إلى الظالمين، قالَ اللَّهُ -تعالى-: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾ [هود: ١١٣].

بل إنَّ ذلك يَعني تعطيل أهمِّ فرائض الإسلام وأحكامه وتشريعاته، كفريضة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكَر، والدَّعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وهي تكاليف عامّةٌ لا تَختصُّ بزمان دون زمان، أو مكانٍ دون آخر.

على أنَّه ليس معنى ( تمَتلِئ الأرضُ ظلمًا وجورًا ) الواردةِ في بعض النُّصوص هو أن تَنعدم قِيَمُ الحقِّ والتَّوحيد والعدل على وجه الأرض، ولا يَبقى موضعٌ يُعبَد الله فيه، فهذا الأمر مستحيلٌ، وهو على خلاف سنن الله، وإلّا فماذا نفعل بالرِّوايات التي تُصرِّحُ بضرورة توفُّر القادة الثَّلاثمائة والثَّلاثة عشر لحركة الإمام، بالإضافة إلى العدد الكبير من الأنصار والجنود الذين يَحتاجُهُم الإمامُ في عمليّته التَّغييريّة، كما أنَّ غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بسبب طغيان الشرِّ والفساد والظُّلم، فكيف يكون طغيان الفَساد والظُّلم شرطًا وسببًا لظهور الإمام عليه السلام وخروجه؟

فالمقصود بهذه الكلمة طغيانُ سلطان الباطل على الحقِّ في الصِّراع الدَّائر بين الحقِّ والباطل، من هنا لا بُدَّ للإمام (عج) من أنصارٍ وجنودٍ وقادةٍ

يُسهمونَ على كلِّ الصُّعُد والمُستوياتِ في التَّمهيد لظهوره المبارك، وفي إنجاح هذه النَّهضة المَهدويّة. انطلاقًا من ذلك يتَّضح أنَّ المُرادَ بالإرهاصات، بشكلٍ عامٍّ، الأحداثُ التي تصبُّ في صالح ظهور الإمام، بمعنى أنَّها تمُهِّد ولو عن بُعدٍ لقُرب ظهور الإمام (عج)، وفرقُها الأساسيُّ عن علامات الظُّهور أنَّ العلامات هي الأحداث المُقاربة زمنًا لظهور الإمام المهدي (عج)، أمَّا المقصود بالإرهاصات التي يَعمل الإمامُ على تَغييرها فهي تلك الإرهاصات التي تتعلَّق بامتلاء الأرض ظلمًا وجورًا، وهذا وإنْ كان سيَحصل كما أشارَت الرِّوايات، إلاّ أنَّ ذلك لا يَعني أنْ نُسهِم في حصوله، بل علينا مواجهته؛ لأنَّ وظيفةَ الإمام الأولى عند ظهوره ستكون تبديله تمامًا بالقسط والعدل. وأهمُّ تجليّات هذه الإرهاصات تكمُن في ثلاثة أمورٍ أساسيّة:

### ١ - اختلال الأوضاع الأمنيّة

تُشير الرِّواياتُ إلى أنَّ الإمامَ عندما يَظهر يكون الوضعُ الأمنيُّ مختلاًّ بشكلٍ كبير، بحيث تكثر الفتنُ إلى حدٍّ مُروِّع، يُروى عن الإمام الجواد عليه السلام قولُه: "لا يَقوم القائمُ عليه السلام إلاّ على خوفٍ شديدٍ من النَّاسِ وزلازلَ وفتنة، وبلاءٍ يُصيب النَّاسَ وطاعونٍ قبلَ ذلك، وسيفٍ قاطع بينَ العرب، واختلافٍ شديد في النَّاس، وتشتُّتٍ في دينهم وتَغيير من حالهم..."[1].

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٣١، ح٩٦.

كذلك دلَّت الأخبـارُ الدَّالةُ على الجزع من صعوبة الزَّمن وضيق النَّفس الشـديد، وذلك بسبب كثرة السَّرقات، والاسـتخفاف بالدِّماء والأعراض؛ فقد رُوي أنَّه يُعاني المؤمنون في زمان الغَيبة من ضنكٍ شـديدٍ وبلاءٍ طويلٍ وجـزع وخوف، فمن ذلك أنَّ الرَّجل يمرُّ بقبرِ أخيه فيَقول: يا لَيتني مكانَه، وذلك يُشـكِّل نتيجةً طبيعيّةً للشُّـعور بالمَشـاكل والمَصائب التي يمرُّ بها الفردُ في المجتمع المُنحرف.

من هنا كان على كلِّ فردٍ منّا ألَّا يُسهم في هذا التردِّي الخطير للأوضاع الأمنيّة الذي يسـبق الظُّهور؛ ولعـلَّ ظهورَ الحـركات التكفيريّة، وازديادَ نشاطها في الفترة الأخيرة، وما تقوم به من أعمال قتلٍ وسلبٍ وممارسات وحشيّة وإرهابيّة في سـوريا والعراق وغيرها من البلدان، هو أحد مظاهر هذا الاختلال، بالإضافة إلى استمرار الدُّول الاستعماريّة في عمليّة سَحق الشُّـعوب المُسـتضعَفة ونهب خيراتها ونشرها لأفكارٍ خطـيرة كالحريّة المُطلقة للإنسان بأنْ يَفعل ما يريد حتّى لو أضرَّ بغيره، وما تَقوم به بعضُ الـدُّول من تخفيـفٍ للعُقوبات على الجرائـم الكبيرة كالقتـل والسَّرقة، بحيث تَنتفي العقوباتُ الرَّادِعة، فلو كان القاتلُ يُقتَل والسَّارق تُقطَع يدُه، كما في أحكام القصاص الإسـلاميّة، لما وصلـتِ الأمورُ إلى هذا الدَّرك الخطير.

**٢ - سيادة التديُّن القِشريِّ وتراجُع الحالة الدِّينيّة**

تُشـيرُ الرِّوايات الواردة عن الرَّسول وأهل بيته (عليهم السلام) إلى تراجُع كبـير في الجانب الدِّينيِّ، يَحصل قبل الظُّهور، بحيث يُصبح الرَّجلُ مؤمنًا ويمُسي كافرًا، كما في مضمون بعضها، أو كما يَروي الشَّـيخُ الطُّوسيُّ في الأمالي عن رَسول الله صلى الله عليه وآله: "يأتي على النَّاسِ زَمانٌ الصَّابِرُ مِنهُم على دِينِه كالقابضِ على الجَمرِ."[١].

إضافـةً إلى ذلك تَكـثر النِّزاعـات الفكريّة والعقائديّـة واختلاف الناس بالآراء؛ حيث دلَّت الأخبارُ على وجود الحيرة والبَلبلة في الأفكار والاعتقاد؛ كالخـبر الـذي رُوي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّـه قال عن المَهدي عليه السلام: "يكـون حـيرةٌ وغيبةٌ تَضِلُّ فيهـا أقـوامٌ ويَهتدي فيها آخَـرونَ"[٢]، والحيرةُ هنا قد يُراد بها عدّةُ وجوهٍ، أهمُّها: الحيرةُ في العقائد الدِّينية، نتيجة الانتشـار الكبير للتيّارات الباطلة والمُنحرفة التي تُحاولُ حرفَ النَّاس عن مسـاراتهم الدِّينيّة والفِطريّة، عبر بثِّ السُّموم والأفكار المُنحرفة، وتَعطيل القيـم، وتحريف معانيها، يُضاف إلى ذلك مـا تُعانيه الأمّةُ من جهلٍ وفراغٍ فكريٍّ، وكلُّ ذلك يُؤدِّي بالفرد الاعتيادي إلى الانحراف، وقد تكون الحيرة في الإمام المهديِّ عليه السلام نفسـه، بمعنى أنَّ طولَ غيبته يُوجبُ وُقوعَ النَّاس في الشـكِّ والاختلاف في شـأنِه، عبر بثِّ الشُّـبهات المُتعلِّقة بوُجودِه أو

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٢٨، ص٤٧.

٢ - النعماني: الغيبة، ص ١٠٤، باب ٤ ما روي في أن الأئمة اثنا عشر إمامًا، ح ٤.

بولادتِه أو حياته أو طول عُمره، وهذا نجدُه كثيراً في عصرنا الحاضر، وأدَّى بالبعض إلى نفي العَقيدة المَهدويّة من أساسها، بناءً على هذه الشُّبهات الواهية، أو الحيرة بالجهاد الواجب في زمن الغَيبة من دون قائدٍ ومُوجِّه، عبر الاختلاف في كيفيّة التَّعامُل مع الأحداث والوقائع والتحدِّيات في ظلِّ غَيبة الإمام المعصوم عليه السلام.

إنَّ الزَّمانَ الذي نعيش فيه كثرتْ فيه التَّحدِّياتُ الفكريّة والثقافيّة، نتيجة انتشار وسائل التواصُل الاجتماعيِّ والعَولَمة وسُرعة الوُصول إلى المعلومة، بالإضافة إلى المُحاولات المُستميتة للغرب لحَرفِ النَّاس عن دينهم، وخصوصًا الشَّباب، عبر تشجيعِهم على اتِّباع الموضة الغربيّة، والتَّشكيك في الحجاب ووجوبه وفلسفته، وصولاً إلى أفكار الإلحاد وإلباسها أثوابًا جديدة، عبر الحديث عن (وهم الإله) و(الشيء من لا شيء)، أو الرُّبوبيّة وإنكار الأديان والوحيانيّة، والقول بأنَّ العقل وحدَه قادرٌ أن يُحقِّقَ الصِّلةَ مع الله، ثمَّ المَوجة الجديدة عبر التَّرويج للأفكار النسويّة والجندر والتحوُّل الجنسيِّ والشُّذوذ الجنسيّ، وذلك باستخدام آلة الدِّعاية الغربيّة، وبثِّ الإشاعات، والتسترُّ بمبادئ قِيَميّة ومَعرفيّة، وَتطبيقها تَطبيقًا خاطئًا.

من هنا تبرزُ أهميّةُ مواجهة هذا الكمِّ الهائل من الأفكار المَغلوطة، وذلك بسلاحَينِ أساسيَّين:

أ- البَصيرة والتفكُّر بالأمور عبرَ العِلم بالزَّمان والمكان وتَحليل الأحداث

وعـدم الأخذ بالقُشـور والظَّواهر، كـما يُروى عن الإمـام الصادق عليه السلام العالِمُ بزَمانِه لا تَهجُمُ عليه اللَّوابسُ"[١]، أي لا تَدخل عليه الشُّـبهات، ولا تلتبس عليـه الأمورُ، ولا تَختلِطُ عليه الأوراق كما يقال، ولا يَضطرب، بل يكـون على بصيرة من أمره، والمَقصود بزمانِه أي أهلِ زمانه وأحوال زمانه، وليس المعرفة بنفس الزَّمان المُتكوِّن من ساعات اللَّيل والنَّهار.

وذلـك لا يختصُّ بفئـة أو شريحة معيَّنة، فـإنَّ المعرفة بأحـوال الزَّمان وأهلـه مطلوبةٌ مـن كلِّ عاقل ذي بصـيرة، ففي كتاب الكافي بسـنده عن الإمام الصـادق عليه السلام قال: "في حُكم آل داودَ على العاقل أن يَكونَ عارفًا بزمانه، مُقبلاً على شـانه، حافظًا لسانه"[٢]، أي يكون مُلتفتًا لإصلاح نفسه ومحاسـبتها وتَحليتها بالفضائـل وتنقيتها من الرَّذائل، حافظًا للسـانه عن اللَّغـو والباطـل، وضرورةُ هذه المعرفة والحاجةُ إليها تَـزداد كلَّما ازدادَت مسؤوليّةُ الفرد، لذا كان العلماء المُتصدُّونَ لقيادة الأمة وإرشادها وهدايتها وإصلاحهـا أَولى بتَحصيل هـذه المَعرفة، لأنَّ التبـاسَ الأمور على العالِم واضطرابَهـا يُؤدِّي إلى التباس الأمور على النَّـاس والمُجتمع، من هنا وردَ عن أمير المؤمنين عليه السلام: "حَسبُ المَرءِ من عِرفانِه عِلمُهُ بزَمانِه"[٣].

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ١، ص ٢٧، كتاب العقل والجهل، ح ٢٩.

٢ - محمـد بـن يعقوب الكلينـي: الـكافي، ج٢،ص١١٦، بـاب الصمت وحفظ اللسان، ح٢٠.

٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٨٠، ح ٦٦.

ب - جهاد التَّبيين عبرَ تصدِّي كلِّ فرد، بحسب وظيفته ومقدرته وعِلمه، لتَبيينِ الدِّينِ والحقِّ والردِّ على الشُّبهات والأفكار الخاطئة، سواء في الساحة الحقيقيّة أو في الساحة الافتراضيّة، فعِلاجُ البروباغندا والحرب الإعلاميّة هو التَّبيين، تَبيينُ الحقيقة، على مختلف الألسن، ومن مختلف الحناجر، وبشتَّى التَّعابير والابتكارات، وقد ركَّزَ قائدُ الثَّورة الإسلاميّة السيّد الخامنئي كثيراً على هذا المصطلح والمفهوم، وأهميّته وأقسامه، وصدر كتابٌ في هذا المَجال، حيث يقول في أحد خطاباته: "تقعُ الدِّعايةُ الإعلاميّة في مُقدَّمِ مُخطَّطات العدوّ، ووَفق قولِهم: البروباغندا. علاج البروباغندا هو التَّبيين، تَبيين الحقيقة، على مختلف الألسن، ومن مختلف الحناجر، وبشتَّى التعابير والابتكارات، التَّبيين، تلك الوَسوسةُ التي تُؤثِّر في ذاكَ الفَتى أو الشَّابِّ ما الذي يُزيلها؟ لا يُمكِنُ للهراواتِ فِعلُ ذلك. التَّبيين هو ما يُزيلها.

هذه النُّقطة الأولى، يَجب أخذُ جهاد التَّبيين على محمل الجدِّ. الجَميعُ، في الحَوزات والجامعات وخاصّة في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون وفي الصُّحف، في النقاط كلِّها، وأينَما تَقفون وحيث، فهناك شعاعٌ حولكم يمُكِنُكم التَّأثير فيه، لا بدَّ لكم من التَّبيين، التَّبيين السَّليم والصَّحيح"[1].

١ - من خطاب له بتاريخ ٠٩ - ٠١ - ٢٠٢٣.

### ٣ - تردِّي المستوى الاقتصادي وانتشار الجُوع والفقر

تُشير الرِّوايات والنُّصوص المَنقولة أنَّ المستوى الاقتصادي للنَّاس بشكلٍ عامٍّ، قبل الظُّهور وإنشاء دولة العدل الإلهيِّ، إلى تَراجُعِ الأوضاعِ الاقتصاديّة بشكلٍ عامّ، بحيث يَنتشر الفقرُ بين معظم النَّاس، ومَرجعُ ذلك في الغالب إلى انتشار الطبقيّة بينَ أفراد المُجتمع، بحيث تتحكَّمُ قِلّةٌ من النَّاس بأغلب خيرات الأرض، وتتركَّز الثَّروة في أيديهم، فيما أغلبُ النَّاس يُعانون من ضنك العيش.

إنَّ تلك الأوضاع التي تَبدأ بالتدهوُر شيئًا فشيئًا، لتَزداد الأمور سوءًا وتعقيدًا أكثر فأكثر، يكون لها أعظَمُ الأثر في شدِّ النَّاس نحو المُنقِذ، ولَفت انتباه البشرية إلى أنَّه لا بدَّ مِن يومِ الخلاص، اليوم الذي تُملأُ فيه الأرض قسطًا وعدلاً بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا، حينما تَضيق السُّبل ويقف العلمُ الحديث بكل إمكاناته وما وصل إليه من التطوُر والرُّقيّ، حينَما يقف عاجزًا أمام حلِّ مشاكل النَّاس، ويَعجز عن تَسيير الحياة بعجلتها المُسرعة على الاتجاه الصَّحيح.

هناك ترابطٌ أشار إليه القرآن الكريم بينَ شُيوع الفساد وانتهاك الحُرمات وابتعاد النَّاس عن القِيَم الإنسانيّة ومبارزة الله تعالى بالمَعصية، وبين انعدام البرَكة وانقطاع الخير والرَّحمة عن الناس، قالَ اللَّهُ -جَلَّ في عُلاه-: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** [النحل:١١٢].

من هنا ستشـهدُ بعضُ البُلدان موجةَ جَفافٍ بسبب انقطاع الأمطار عَنها وجفـاف الأنهار، وقد يتحـوَّل المطرُ، الذي هو رحمـةٌ، إلى نقمةٍ ويكون مُدمِّـرًا للبلاد، فيَفسـد الزَّرعُ ويَقلُّ الثَّمرُ ويَنتشر الفقـرُ والجوع، ومن أبرز الرِّوايـات الواردة في هـذا المجال ما ورد عن النبي (صـلى الله عليه وآله وسـلم): "يأتي على النَّاسِ زَمانٌ... فعِندَ ذلك يَحرِمُهُمُ الله قَطرَ السَّماءِ في أوانِه، ويَنزِلُ في غير أوانِه"[١].

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: "ويَقِلُّ المَطرُ، فلا أرضَ تُنبِتُ، ولا سـماءَ تُنزِلُ، ثم يَخرج المَهديُّ عليه السلام"[٢].

كما أنَّ سـوءَ التَّخطيط والتَّوزيع من الأسـباب الموجبة لتحقُّق التَّدهوُر الاقتصـاديِّ، وأنَّ السياسـات الاسـتبدادية للأنظمـة الحاكمـة، والصِّراعَ الدَّوليَّ والإقليميَّ، والحروبَ والنِّزاعاتِ، كلُّها أسـبابٌ مباشرة تُؤدِّي إلى الفقر والإفقار، بل وانتشـار المَجاعات، حيـث وردَ أنَّه قُبيل الظُّهور يكون هناك غلاءٌ فاحشٌ، وارتفاعٌ كبيرٌ بالأسعار.

رُوي أنَّ الصَّادقَ عليه السلام قال: "إنَّ قُدّامَ القائم علاماتٍ تكونُ من الله -عزَّ وجلَّ- للمُؤمنين، قلتُ: وما هي جَعلني اللهُ فِداكَ؟ قال عليه السلام: ذلكَ

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٢٢، ص ٤٥٣، باب فضل أمته (ص) وما أخبر بوقوعه فيهم، ح ١١.

٢ - ابـن طاووس: التشريف بالمنن في التعريف بالفتن المعروف بالملاحم والفتن، ج١، ص ٢٦٣.

قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**ولَنَبلُوَنَّكُم**﴾ يَعني: المُؤمنينَ قبلَ خروج القائم عليه السَّلام ﴿**بشَيْءٍ مِنَ الخوفِ والجُوعِ ونَقصٍ مِنَ الأموالِ والأنفُسِ والثَّمراتِ وبَشِّرِ الصَّابرينَ**﴾. قال: يَبلوهُم (بشَيءٍ من الخَوف) من مُلوكِ بَني فلانٍ في آخرِ سُلطانِهم، (والجُوعِ) بغَلاءِ أسعارِهم، (ونَقصٍ مِنَ الأموالِ) قال: كَساد التِّجاراتِ وقلّة الفَضل، ونقص من (الأنفس) قال: وموتِ ذَريعٍ، (والثَّمرات)، قالَ: قلّة رَيعِ ما يُزرَعُ. (وبَشِّرِ الصَّابرينَ)، عندَ ذلكَ بتَعجيلِ خُروجِ القائمِ."[1].

● **المبحث الثاني: كيفيّة تحقيق الإرهاصات الإيجابيّة لدولة الإمام (عج).**

مرَّ في المبحث الأوّل الحديثُ عن الإرهاصات السَّلبيّة للظُّهور، والتي يَنبغي أن يَسعى كلّ فردٍ إلى إلى تجنُّبها والابتعاد عن المشاركة فيها. والكلام الآنَ عن الإرهاصات الإيجابيّة التي لا بدَّ للفرد من القيام بمُقتضياتِها، والتحلِّي بخِصالها، لكي يكون من المُمهِّدينَ والمُنتظِرينَ الحَقيقيِّينَ للإمام (عج).

١ - **الانتظار الإيجابيّ والفعّال:** إنَّ حالةَ الانتظار باتَت ظاهرةً تتعمَّق يومًا بعد آخر، وتترسَّخ أكثرَ في نفوس المُحبِّين، وخاصّةً مع ما يَتبلور اليومَ في الواقع العالَميِّ الرَّاهن من اتِّجاهات، وما يَحصل من مخاطر جَسيمة، تُنبِئُ بنُشوب حرب

١ - الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٦٧٧، ما روي من علامات خروج القائم (ع)، ح ٣.

عالميــة وتهديدات نووية، تُصادر الحياةَ والإنســانَ وإرادتَــه الحرّةَ في بلوغ حياةٍ كريمةٍ. وكلَّما تعمَّقَت الهَيمنةُ الاســتكباريّة على مُقدّرات الشُّعوب المُستضعَفة والفَقيرة، تحت شعارات مختلفة كالعولمة أو النِّظام العالمي الجديد، أو الحداثة وما بعد الحداثــة، وضرورة انخراط الجميع في مُتطلَّباتها، فرَضَ الانتظارُ نفسَــه كقانونٍ إنسانيٍّ عامٍّ، وسبيل للخلاص من مظاهر الظُّلم والجور.

وعلى الرّغم من ذلك نشــأتْ طوالَ التَّاريخ مَفاهيمُ وتصوُّراتٌ خاطئةٌ عن الانتظار، جعلت أصحابَها يتملَّصون من كلِّ مَسؤوليّة في العمل التَّمهيديِّ، مُبرِّريــنَ لأنفســهم حالةَ الخنــوع والخضوع، عــبر الاســتغراق في الدُّعاء واعتباره الطَّريقةَ الوحيدة والسَّــليمة للانتظار والتَّمهيد، أو اعتزال المجتمع كليًّا وعدم تعريض النَّفس للمخاطر، لكي يَحفظ الفردُ نفسَــه ويَضمنَ كونَه جُنديًّــا في جيش الإمام، وصولاً إلى أخطر مفاهيم الانتظار، وهو ما يُســمِّيه الشَّهيد مطهّري بالانتظار المُخرِّب: "يَقوم هذا التصوُّر على أنَّ ظهور الإمام رهــينٌ بامتلاء الأرض ظُلمًا وجورًا، كما جــاء في الرِّوايات. فامتلاء الأرض بالمَفاســد والانحطاط هو الشَّرط الموضوعيُّ للظُّهــور، ومن هنا فعَلينا ألَّا نقفَ في وجه هذه الانحرافات حتّى لا نُعطِّلَ ظهورَ الحُجّة عجَّلَ الله تعالى فرجَه، ونتيجة لذلكَ فإنَّ هذا التصوُّرَ يَدين كلَّ إصلاح؛ لأنَّ الإصلاحَ يُشكِّل نقطةً مُضيئةً على ساحةِ المجتمع العالميِّ ويُؤخِّرُ الإمدادَ الغَيبيَّ"[1].

---

١ - مرتضى مطهري: نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، ص ٤٨.

في مواجهـة هذا المفهوم الخاطئ للانتظار لا بدَّ من طرح فكرة الانتظار الإيجابيِّ والفَعّال، وهو ما عبرَّ عنه الشَّـهيد الصَّدرُ الثاني بقوله: "المفهومُ الإسلاميُّ الواعي الصَّحيحُ للانتظار هو التوقُّعُ الدَّائم لتنفيذ الغرض الإلهيِّ الكبـير، وحصول اليوم الموعـود الذي تَعيش فيه البشريـةُ العدلَ الكاملَ بقيـادة وإشراف الإمام المهدي عليه السلام. وهذا المعنى مفهومٌ إسـلاميٌّ عامٌّ تَشـترك فيه المَذاهب الكبرى في الإسـلام، بعد تواتُر أخبـار المَهديِّ عن رسـول الإسـلام صلى الله عليه وآله بنحو يَحصل اليَقينُ بمدلولها، وينقطـع العذرُ عن إنكاره أمام الله عز وجل"[1].

وكذلك يُعبرِّ عنه (الشَّيخ الآصفيُّ) بالانتظار الحركيِّ أو المُوجَّه[2]، وهذا يَظهـر بمُلاحَظة النُّصوص التي جعلَت من الانتظار عبادةً شـاملةً، يتحرَّكُ عبرَها المُؤمنـونَ إلى مَرضاة الله، بل جعلَته أفضـلَ أعمال الأمّة، وأفضلَ العبـادة، وهو يَحصل عـبرَ الاسـتعداد الدَّائم، وعلى جميع المُسـتويات النَّفسـية والفكريّة والسُّلوكية، وعبر نسج العلاقة المُميَّزة معه على مختلف الأصعـدة، إلاّ أنَّ الصَّعيـد الأبرزَ هو أن يكون الفردُ مُنتظِـرًا حقيقيًّا، فيَقوم بتهذيب نفسه، بحيث يُصبح بسيرته وسلوكه داعيةً لإمامه عليه السلام أينَما ذهب، ويَذكر الإمامَ ذِكرًا خفيًّا مُكابِدًا فيه شوقَ الانتظار للقاء المَحبوب.

---

١ - محمد صادق الصدر: تاريخ الغيبة الكبرى، ص.ص. ٢٩١ - ٢٩٢.

٢ - راجع: محمد مهدي الآصفي: الانتظار الموجه دراسة في علاقة الانتظار بالحركة.

كذلك فإنَّ التأمُّل في الحقل المعجميِّ لهذه المفردة، في المعاجم اللُّغويّة المختلفة، يُظهرُ أنَّ المعاجمَ اللغويّة قد أرسلت هذه المفردةَ إرسالَ المُسلَّمات، كما أنَّ جميعَ ما ارتبط بهذه المُفردة من حقلٍ مُعجميٍّ يتضمَّن معنًى حَركيًّا وحَيويًّا، ولم تنصَّ المعاجمُ على معانٍ سلبيّة لهذا المَفهوم، بل صيغةُ الانتظار تدلُّ على الاجتهاد، وهي عمليّة اختياريّة لا قَهريّة، فيها الكثيرُ من التعمُّل والتفكُّر والتأمُّل، من هنا إذا أردنا تعريفَ هذا المفهوم فالتَّعريف الأفضلُ له أنَّه: كيفيّةٌ نفسانيّة يَنبعثُ منها التهيُّؤُ لِما تَنتظره، أي: هو حالة من الشُّعور بعَدَمِ الارتياحِ من الوَضع المَوجود، والسَّعي إلى إيجاد الوَضع الأفضل والأحسن[١].

إنَّ هذا الانتظار يتجلَّى في ثلاثة جوانب رئيسيّة هي:

**أ-الجانب الفكريّ للانتظار:** وهذا الجانب يتجلَّى في بُعدَين رئيسيَّين هما:

**البُعد الأوَّل:** فَهمُ الحِكمة الأساسيّة من الانتظار، التي تتمثَّلُ في التَّمحيص والابتلاء والغَربلة وبقاء الثُّلّة الصَّادقة التي ماحَكَتْها التَّجاربُ والبلاءاتُ، ومع ذلك ظلَّت صابرةً محتسبةً؛ عن جابر الجعفيِّ قال:" قلتُ لأبي عبد الله عليه السَّلام متى يَكون فَرجُكُم؟ فقال: هيهاتَ هيهاتَ، لا يكون فرجُنا حتَّى تُغَربَلوا ثمَّ تُغَربَلوا ثمَّ تُغَربَلوا -يَقولُها ثلاثًا- حتَّى يَذهَبَ الكدرُ ويَبقى الصَّفْوُ"[٢].

---

١ - راجع: الشيخ حسن المصطفويّ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٤، ص٧٩.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠، باب التمحيص والنهي عن التوقيت، ح٢٨.

وعن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ عليه السلام: "واللـه لَتُمَيَّزُنَّ، واللهِ لَتُمَحَّصُنَّ، واللهِ لَتُغَرْبَلُنَّ كما يُغربَلُ الزّوانُ من القَّمح"[١].

**البُعد الثَّاني:** إثباتُ كونِ الانتظارِ سُنّةً رَبّانيّةً تاريخيّة، بحيثُ تكمُنُ أهميّةُ إثباتِ هذا الأمرِ في عدّة نقاط:

أ- شعور المُنتظرين للقائم المهديِّ (عجَّل اللـه تعالى فرجَه الشَّريف) بأنَّهم لَيسوا وحدَهُم مَن يَخضعون لقانون الغَيْبَة والتَّمهيد والانتظار على ساحة التَّاريخ الإنسانيِّ، وأنَّ ظاهرة الغَيْبَة وطُول الانتظار لَيست ظاهرةً استثنائيّة أو اتِّفاقيّة، بل وُجدت بين الأمم السابقة.

ب- تأطير كيفيّة تعامُل المُنتظِر مع هذه المَسألة، فيَتعامل معَها بوصفها قانونًا له أسبابُه ومُسبَّباتُه، وبالاطِّلاع عليها يُمكنُه من خلال اجتهادِه أن يَرفع بعضَ المَوانع، ويُحقِّقَ بعضَ الشَّرائط، التي تُقصِّرُ من مدّة الانتظار.

من هنا نجدُ الشَّهيدَ محمد باقر الصَّدر ركَّزَ على سننيّة هذه الظَّاهرة، لتَوفُّرِ كلِّ أركان السُّنّة فيها، فقد أرسى الشَّهيد الصَّدرُ (قدس سره) ثلاثةَ أبعاد تُميِّزُ السُّنَن التاريخيّة عن غيرها، وهذه الأبعاد تنطبق على الانتظار، وهي:

- كون الانتظار قانونًا له أسبابُه ومُسبَّباتُه.
- الغائيّة والهَدفيّة، فهي تُعبِّرُ عن علاقة بين نشاطٍ وغايةٍ لهذا النَّشاط.
- الأرضيّة الاجتماعيّة الواسعة المُستهدَفةُ بهذه الظَّاهرة[٢].

---

١ - النعماني: الغيبة، ص ١٣٧.

٢ - راجع: محمد باقر الصدر: السنن التاريخيّة في القرآن، ص.ص.٧٥ - ٨٤.

لا بدَّ من الوَعي التَّفصيليِّ بالمُستقبل، فالمُستقبَلُ هو المُحرِّكُ الأساسيُّ للأُمم والمُجتمعات، وبقدر ما يكون المستقبلُ حاضرًا في وعي الجماهير يكـون زخمُ الحركة نحـوَه قويًّا فعّـالاً، فالذي لا يُؤمِن بالمسـتقبل مُهدَّدٌ بالجمود التاريخيِّ، وبقدر ما تكون تَفصيلاتُ المسـتقبل واضحةً، وأبعادُه بيِّنةً، يكون المسارُ التَّاريخيُّ رَشيدًا ثابتًا مُتصاعِدًا بلا انحرافٍ ولا تردُّد"[1].

ب- الجانب النَّفسي للانتظار:

يتجلَّى هذا البُعد بعدّة أمورٍ أساسيّة:

١. الإحسـاس بالاسـتعداد الكامل لتطبيق أُطروحة مجتمع الظُّهور عبر الشُّـعور بأنَّ انطلاقـةَ النَّهضـة المَهديّة قَريبـةٌ، وأنَّ احتمال ظهورِه في أيِّ وقتٍ واردٌ.

٢. الارتبـاط العاطفـيُّ بالمهديّ (عـج): إنَّ من أهمِّ الوَسـائلِ التي يمُكـن أن يلجأ إليهـا الفردُ منّـا، لتَعزيز علاقتـه بالإمام المهديّ (عج)، هي تعزيـزُ الارتباط الرُّوحيِّ والإيمـانيِّ والقلبيِّ به، عبر السَّـعي إلى تَحقيـق الأهداف التي سـيَظهر من أجـل تَحقيقها، ومحاولـة صُنع ظُهوره عبر التَّمهيد الإيجـابي لهذا الظُّهور، وقد بيَّنَـت الكتـبُ والرِّواياتُ كيفيّـةَ تَعزيز هذا الارتباط، والوسـائلُ تُسهِم في ذلك منها:

---

١ - راجع: الأسعد بن علي قيدارة: النظريّة المهدويّة في فلسفة التاريخ، ص ١٦٠.

٣. ذِكرُ الإمام (عج) على الدَّوام، ويمُكِنُ تَقسيمُ الذِّكرِ له إلى نوعَينِ أساسيَّين:

الذِّكـر القَولي، فذِكر الإنسـان لمَحبوبـه مَدعاةٌ لتَركيـز العلاقة وتمَتينِ الارتبـاط، مُضافًا إلى ما فيه مـن ثمرات عديدة، وليسَ المقصودُ من الذِّكر اللِّسـانيَّ، لأنَّه مُجرَّدُ لقلقة اللِّسـان وتَلفُّظ بحـروف وكلمات دونمَا وعي واختـزان لمَعانيها والتأمُّل في مُعطياتِها، فإنَّ ذلك لا يُجدي نفعًا، ومن هنا كان لا بدَّ من السَّـعي لتجسـيد الألفاظ وتَطبيقها عمليًّا على أرض الواقع، وأهمُّ عنصرٍ في هذا الذِّكر هو الدُّعاء للإمام (عج) بحِفظه، كما في الدُّعاء المَعروف، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الأدعية والزِّيارات التي تُضفي على الدَّاعي طابعًا روحيًّا عاليًا، بحيث يَشعر وكأنَّ الإمامَ بقُربِه، وأهمُّها:

دعاء العَهد: وهو الدُّعاء المَرويُّ عن الإمام الصَّادق عليه السلام، حيث قـال: "مَـن دَعا إلى الله تعالى أربعـينَ صَباحًا بهذا العَهـد كانَ من أنصار قائمنـا، فإنْ مـاتَ قبلَهُ أخرجَهُ اللهُ تعالى من قَـبرِه وأعطاهُ بكلِّ كلمةٍ ألفَ حسنة، ومَحا عنه ألفَ سيِّئة"[1].

زيارة آل ياسين: وهي زيارةٌ واردةٌ من النَّاحية المُقدَّسة، حيث قال الإمامُ المَهديُّ عليه السَّلام: "إذا أردتُمُ التَّوجُّهَ بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا كما قالَ الله تعالى: "سَـلامٌ عَلَى آلِ ياسـينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا داعِيَ اللَّهِ وربَّانيَّ

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٤٢، ح ٢٥.

آياتِه، السَّلامُ عَلَيكَ يا بابَ اللَّه ودَيَّانَ دينِه...".

دعاء الندبة: حيث يُستحبُّ أن يُدعى به في الأعياد الأربعة (الفطر، والأضحى، والغَدير، ويوم الجمعة). فللدُّعاء كما ورد في الآثار المَرويّة عن أهل البيت فوائدُ عديدةٌ، فهو يَرُدُّ القضاءَ المُبرَمَ، ويَزيدُ في العُمر والرِّزق، كما أنَّ آثاره لا تَنحصرُ بالمَدعُوِّ له، بل تَشمُلُ الدَّاعيَ أيضًا، خصوصًا إذا كان المَدعوُّ له هو الإمام الحُجّة (عج)، فمِن الآثار المُتحقِّقة بالنِّسبة للدَّاعي:

الرَّاحة النَّفسيّة التي يَشعر بها الدَّاعي خصوصًا، باعتبار أنَّه يَدعو اللهَ سبحانه وتعالى، المُتحلِّيَ بكلِّ الصِّفات الكماليّة الجماليّة والجلاليّة، لحفظ الإنسانِ الكاملِ وقُطبِ عالَمِ الوُجودِ.

تَغييرُ الواقعِ الذي يَعيشُه الإنسانُ الدَّاعي، مُضافًا إلى الأجرِ والثَّواب الكبير، باعتباره أحدَ أهمِّ العِبادات التي تَربطُ بينَ العَبدِ وربِّه.

أمَّا الآثارُ المُتحقِّقةُ بالنِّسبة للإمام عليه السلام فالدُّعاء مفيدٌ له أيضًا، وذلك في تَعجيل الفرج له، فإنَّ الإسراعَ في فَرجِه مُرتبطٌ بكَثرة الدُّعاء له، وهذا لا يُنافي أنَّه مَحفوظٌ من الله، ووقتُ ظهورِه من المَحتوم.

ج- الجانب السُّلوكي للانتظار: إنَّ تمتُّعَ الفرد منّا ببُعدٍ فكريٍّ صحيحٍ للانتظار لا بُدَّ أن يُنتِجَ آثارًا سيكولوجيّة ونفسيّة مُلائمة، وبالتالي سلوكًا عمليًّا مُلائمًا للانتظار ولِعَظمةِ الشَّخص المُنتَظَر، وأهمُّ أبعاد هذا السُّلوك العمليِّ الصَّحيح هي:

### ١. الالتزام بالأحكام الشرعيّة

إنَّ الالتزامَ الفعليَّ والسُّلوكيَّ بتعاليم الإسلام وأحكامه الشَّرعيّة، عبرَ فعل الواجبات وترك المُحرَّمات الفَرديّة والاجتماعيّة، هو الخطوة الأولى في المَنهج الصحيح؛ فالفردُ الذي يَطمح لحاكميّة الرِّسالة التي يُؤمنُ بها على مُستوى العالَم لا بدَّ أن يَبدأ بنفسه وذاته، عن أبي عبد الله عليه السلام: "مَن سَرَّهُ أن يكون من أصحاب القائم فلْيَنتظرْ، ولْيَعمَلْ بالوَرَعِ ومَحاسنِ الأخلاق، وهو مُنتظِرٌ، فإنْ ماتَ وقامَ القائمُ بعدَهُ كانَ له من الأجرِ مثلُ أجرِ مَن أدركَهُ"[١].

### ٢. مقارعة قوى الظُّلم والاستكبار

إنَّ الإمامَ غابَ حتّى لا تكونَ في عنقه بيعةٌ لظالم، كما وردَ في الرِّوايات، ووَظيفتُهُ هي مَلْءُ الأرضِ قسطًا وعَدلاً، كما مُلِئَتْ ظُلمًا وجَورًا، فلا بدَّ من الاقتداء به في مجاهدة ومحاربة قوى الظُّلم والشرِّ؛ لأنَّ دربَ الحُجّة، عجَّل الله تعالى فرجَه الشَّريف، هو دربُ القطيعة الكاملة، والمقاومة الشَّاملة، لأولئك الطُّغاة الجبابرة، فمَن أراد أن يكون معَ الإمام عليه أن يُوطِّنَ نفسَه من الآن على هذا المَنهج. عن الإمام المهدي، عجَّل الله تعالى فرجَه الشَّريف: "إنَّه لم يكنْ أحدٌ من آبائي إلا وقعَتْ في عنقِه بَيعةٌ لطاغيةِ زَمانِه، وإنِّي أخرُجُ حينَ أخرُجُ ولا بَيعةَ لأحدٍ من الطَّواغيتِ في عُنُقي"[٢].

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٤٠، ح ٥٠.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٨١، ح ١٠.

### ٣. الارتباط بالفقهاء العُدول نُوّاب الإمام في غيبته

ورد في التَّوقيع الشَّريف المَنسوب للإمام (عج): "وأمَّا الحوادثُ الواقعةُ فارجعُوا فيها إلى رُواة حديثنا، فإنَّهُم حُجّتي عَلَيكُم، وأنا حُجّةُ الله"[١].

وورد أيضًا: "فأمّا مَن كان من الفُقهاء صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مُخالِفًا على هَواهُ، مُطيعًا لأمر مَولاهُ، فللعَوام أنْ يُقلِّدوهُ".

فالفُقهاءُ اليومَ همُ الحُجّةُ على النَّاس، كما كان الرَّسولُ حجّةَ الله عليهم، وكلُّ ما كان يُناطُ بالنبيِّ صلى الله عليه وآله فقد أناطَهُ الأئمّةُ عليهم السَّلام بالفُقهاء من بعدهم، فهُمُ المَرجعُ في جميع المُشكلات والمُعضلات، وكلُّ مَن يتخلَّفُ عن طاعتهم فقد تخلَّفَ عن طاعة الله، فلا مَعنى لانتظار المَهديِّ إذا كُنّا نتحرَّكُ في دوائرَ خارجَ القيادةِ النَّائبةِ التي نصَّ الإمامُ نفسُه عليها.

## ● المبحث الثالث: عوامل تَعجيل الفَرج

إنَّ المُتأمِّلَ في الأحداث التاريخيّة يَراها تَسير وَفقَ نسق سُنَنيٍّ تاريخيٍّ مُتكامل؛ فالتَّاريخُ البشريُّ ليس تراكُمًا عَشوائيًّا للأحداث والوَقائع؛ بل هو صَيرورةٌ خاضعةٌ للسُّنَن والقَوانين، فكلُّ كائن في هذا العالَم يَسير وفقَ مبدأ الهداية العامّة المَرسومة إلهيًّا إلى مُستقرِّه وكماله المَنشود، وما يُميِّزُ

١ -الطبرسي: الاحتجاج على أهل اللجاج، ج ٢، ص ٢٨٣.

الإنسانَ عن غيره هو أنَّ سَيرَهُ التَّكامليَّ هو سيرٌ إراديٌّ وواعٍ، باعتبار أنَّ الإنسان حسّاسٌ مُتحرِّكٌ بالإرادة، وأهمُّ ما يُميِّزُه هو قدرتُه على التعقُّل وإدراك الكلِّيّات، بل هو الكائنُ الوحيد الذي حملَ الأمانة الإلهيّة، باعتبار أهليّته لها دونَ غيره، قال اللَّهُ سُبحانَهُ: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا**﴾ [ الأحزاب: ٧٢].

فهناك تدافعٌ دائمٌ على المُستوى النَّفسيِّ والمُستوى الاجتماعيِّ بين ظلاميّة الإنسان وظُلمه وجَهله وجَهالته والرَّذائل المُستحكمة فيه، وبينَ عَقلانيَّته وعَقله وإيمانه وعمله الصَّالح الذي يُؤهِّلُه لأنْ يكونَ المُستخلَفَ والخَليفةَ، قالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النّور:٥٥].

إنَّ من أهمِّ مقوِّمات الاستخلاف الإنسانيِّ قيامَ مجتمع العُبوديّة الكاملة والعَدالة المُطلَقة، الذي يَستلزمُ قيادةً عالميّةً تمُثِّلُ أرقى ما يُمكِنُ أن تَصلَ إليه البشريّةُ من الكمال، وفقَ تَخطيطٍ إلهيٍّ مُحكَم ومُتقَن، عبر الصِّيانة الإلهيّة للغايات الكُبرى للوُجود البشريِّ، من خلال تَخطيطٍ تتحرَّكُ وَفقَه المَسيرةُ الإنسانيّة نحو المستقبل السَّعيد، إلّا أنَّ هذا التَّخطيطَ ليس بمَعزلٍ

عن اختيار الإنسان وحركته الإراديّة، بل له دورٌ أساسيٌّ فيه، بل هو محورُهُ الأوَّلُ والأخيرُ، فبالتالي لا مُنافاةَ بينَ التَّخطيط الإلهيِّ المُحكَمِ وبينَ قُدرةِ الإنسان من خلال سُلوكيّاته وابتكاراته أن يُعجِّلَ الفَرجَ.

فالتَّخطيطُ الإلهيُّ ليس تَخطيطًا جاهزًا وناجزًا من جميع الجهات، بحيث يكون البشرُ أدواتٍ ووسائلَ تَنفيذيّةً مَحضة، بل إنَّ حريّةَ الإنسان وقدرتَه على صُنع الأحداث، وتَغيير مَجرى التاريخ، هي العُنصر الأساسيُّ والفَعّال في هذا المَسير، وهو ما يُمكنُ أن نُعبرِّ عنه بصناعة الانتظار، فعَلامات الظُّهور تُصنَعُ ولا تُنتَظَر، فلا بدَّ من الدَّمج المَفاهيميِّ والدَّمجِ العَمليِّ بين المَفاهيم المُختلفة المُكوِّنة للدَّولة المَهدويّة، كمفهموم التَّمهيد، والانتظار للفرج، وتَعجيل الفرج، بحيث تُشكِّلُ بَوتقةً واحدةً مُتلائمةً ومُتناسقةً، كلٌّ منها يُنتِجُ الآخرَ ويتفاعلُ معَه.

فما يَفهمُه البعضُ من كون مفهوم الانتظار مناقضًا لمبدأ تَعجيل الفرج، لما في الأوّل من دلالات التَّسليم والصَّبر والتريُّث والترقُّب، وفي الثَّاني من دلالات الفعل والتحرُّك والعمل الدَّؤوب والجادِّ والرَّصين، هو فهمٌ خاطِئٌ وسَطحيٌّ ناتجٌ عن عدم إدراك العلاقة الجدليّة والتَّفاعُليّة بينَ هذه المَفاهيم، وهذا الدَّمجُ نَلحظُه بوضوح فيما وردَ من رواياتٍ عن النبيِّ (ص) وأهل بيته (عليهم السلام):

عَن أبي عبد الله عليه السلام: "إنَّ لَنا دَولةً يَجيءُ بها اللهُ إذا شاءَ.

ثمّ قال: مَن سَرَّهُ أن يكون مِن أصحاب القائم فلْيَنتظِرْ، ولْيَعمَلْ بالوَرَعِ

ومَحاسِنِ الأخلاق، وهو مُنتظِرٌ، فإنْ ماتَ والقائمُ بعدَهُ كانَ له من الأجرِ مثلُ أجرِ مَن أدركَهُ، فجدُّوا وانتَظِرُوا أيَّتُها العصابةُ المَرحومةُ"[١].

وعن الرَّسول صلى الله عليه وآله: "بالصَّبرِ يُتوقَّعُ الفَرَجُ، ومَن يُدمِنْ قَرْعَ البابِ يَلِجْ"[٢].

ففي هاتَينِ الرِّوايتَينِ يَبرُزُ بوضوحٍ الرَّبطُ الأكيدُ بينَ المَفاهيم، حيث يُعبِّرُ الإمامُ بقولِه: "فلْيَنتظِرْ" و"لْيَعمَلْ وهو مُنتظِرٌ"، وكذلك "فجدُّوا، وانتظِرُوا"، فالعَملُ والجدُّ هما الانتظار، والصَّبرُ وقَرعُ الأبواب يَتكاملان في تَحقيق مَنظومةِ التَّمهيد والانتظار؛ بل يُمكِنُ القولُ إنَّ الرِّوايات تُشيرُ إلى حقيقة كون الانتظار الصَّحيح هو الانتظار العامِل والعَمليّ المُنتِج، وليس الانتظارَ المُترقِّبَ والمُتفرِّج والمُستهلك لكلِّ ما يأتي إليه ويَفِدُ عليه من ثقافاتٍ وقِيَمٍ، والصَّبرُ الصَّحيحُ هو المُصابَرُ والمُرابَطُ والحَركيُّ.

انطلاقًا من هذه الرُّؤية الجامعة لمفاهيم التَّمهيد والانتظار يُمكِنُ مُعالجةُ كلِّ الإشكالات والشُّبهات التي تَنطلِقُ من فَهمِ بعض مَضامينِ الرِّواياتِ فَهمًا خاطئًا، وأهمُّ هذه الشُّبهات شُبهتان:

١ - منافاةُ مفهومِ تَعجيل الفرجِ لجُملةٍ مُعتبرَةٍ من الرِّوايات، تَنهى عن الاستعجال، وتَدعو للصَّبر والتريُّث في انتظار الأمر، وقد عَنونَ الشَّيخُ أبو زينب النُّعمانيُّ، وهو مِن أقدمِ المُصنِّفينَ في الغَيبة، بابًا خاصًّا في كتابِه

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٤٠، ح ٥٠.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٩٦، ح ٦١.

بعنـوان (باب ما أُمر به الشِّـيعةُ من الصَّبر والكفِّ والانتظـار للفَرج وترك الاستعجال)، وأوردَ رواياتٍ عدّةً تحتَ هذا الباب منها:

- عن عبد الرحمن بن كثير قال: " كنتُ عندَ أبي عبد الله عليه السلام يَومًـا، وعندَهُ مهزم الأسـديُّ، فقال: جعلَني فِـداكَ متى هذا الأمرُ الـذي تَنتظرونَهُ؟ فقال: طالَ عَلينا، فقال: يا مهزم كذبَ المُتمنُّونَ، وهلكَ المُستعجلونَ، ونَجا المُسلِّمونَ، وإلينا يَصيرونَ"[1].
- عـن أبي عبد اللـه عليه السلام:" هلكَت المَحاضيرُ، قـال الرَّاوي: وما المَحاضيرُ؟ قال: المُستعجلونَ، ونَجا المُقرِّبونَ"[2].

إنَّ القـراءة الموضوعيّة لمثل هذا النَّوع من الرِّوايات تُفيد بأنَّها في مقام النَّهي عن الاستعجال المَذموم أو الخَطأ في تَطبيق مفهوم التَّعجيل، عبر القيام بحركات غيرِ مَدروسـة بشـكلٍ جيِّد، وعدم التَّبصُّر الكافي بمَوازين القوى، بالإضافة إلى عدم الأخذ بالأسباب الموضوعيّة، وإنْ كانَت دوافعُ المُستعجلينَ سليمةً، ولكنَّ الانفعـالَ والخروجَ قبلَ الأوان، طمعًا في النَّصر السَّريع، دون تَوافر أسـبابه، قد يَجعل النَّتائجَ عَكسـيّةً. وقد حصل هذا كثيرًا في عصور الأئمّة (عليهم السـلام) المُختلفة، حيث خرجَ كثيرونَ ضدَّ الحُكّام الظَّالمينَ بنَوايا الإصلاح ورَفع الظُّلم والاسـتبداد، والمُطالبة بالعدالـة الاجتماعيّة، إلّا أنَّ هذه الحـركات لم تُؤدِّ إلى النَّتائج المَرجوّة، بسبب الاستعجالِ وعدم قراءة الوقائعِ بشكلٍ متأنٍّ ومَدروس.

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٠٣، ح ٧.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٣٨، ح ٤٣.

مِن هنا يُمكن أن نَفهمَ أنَّ الأئمّة كانوا دائمًا يَنصحون أصحابَهم بعدم التورُّط في مثل هذه الحركات الانفعاليّة، وانتظار الظُّروف المُلائمة، وقد أرسى الإمامُ الصَّادقُ عليه السلام هذه السِّياسة، فحين استطاعَ أبو مسلم الخراساني هزيمةَ الأمويِّينَ، ودانَت له بلادُ المُسلمينَ، عرضَ على الإمامِ مُبايعتَه بالخلافة، وكتبَ "إنيِّ قد أظهرتُ الكلمةَ، ودعوتُ النَّاسَ عن بنى أميّةَ إلى موالاة أهل البيت، فإنْ رَغبتَ فلا مَزيدَ عليكَ".

فيُجيب الإمامُ مُعلنًا فلسفتَه السِّياسيّةَ الواضحة: "ما أنتَ مِن رجالي، ولا الزَّمانُ زَماني"[1].

٢ - الرِّوايات التي تَنهى عن الخروج قبل قيام القائم: ورد في المصادر الشِّيعيّة عِدّةُ روايات قد يتمسَّكُ بها البعضُ للقَول بعدم شرعيّة التحرُّك قبلَ عصر الظُّهور، وبالتَّالي تُناقضُ هذه الرِّواياتُ مبدأ الجهاد ونُصرةِ المَظلومينَ والمُستضعَفينَ، وإقامة الحُكم الإسلاميِّ العادل في الأرض، ومن هذه الرِّوايات مثلاً:

❋ عن الباقر عليه السلام قال: "مَثَلُ خروج القائم منّا أهلَ البَيت كخُروج رَسول الله صلَّى الله عليه وآله، ومَثَلُ مَن خرجَ مِنّا أهلَ البيت قبلَ قِيام القائم مَثَلُ فَرخٍ طارَ فوقعَ مِن وكرِه، فتَلاعبَتْ به الصِّبيانُ"[2].

---

١ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٥٦.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٣٩، ح ٤٨

❋ عن أبي جعفر (عليه السلام)، أنَّه قال لأبي الجارود: "أُوصيكَ بتَقوى الله، وأن تلزَمَ بيتَكَ، وتَقعُـدَ في دَهماءِ هؤلاءِ النَّاسِ، وإيَّاكَ والخَوارجَ مِنَّا، فإنَّهُم ليسوا عـلى شيءٍ، ولا إلى شيءٍ... واعلَمْ أنَّه لا تَقوم عصابـةٌ تَدفع ضيمًا، أو تُعِـزُّ دينًا إلا صَرَعتْهم البَليّـةُ، حتَّى تَقوم عِصابةٌ شَـهدوا بَدرًا مع رسـول الله، لا يُوارى قَتيلُهُـم، ولا يُرفَعُ صَريعُهم، ولا يُداوى جَريحُهُم..."[١].

❋ عـن مالك بن أعين عـن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: كلُّ رايةٍ تُرفَعُ قبلَ راية القائم فصاحِبُها طاغوتٌ"[٢].

إنَّ القـراءةَ المتأنِّيَةَ والمَوضوعيّةَ لهذا النَّوع من الرِّوايات تُظهِرُ أنَّها كلَّها أو أغلبَها ضعيفُ السَّند، وبغـضِّ النَّظر عن البحث السَّـنديِّ فيها يمُكِن إيرادُ عدّة مُلاحظات تُسهِم في فَهمِ هذا النَّوع من الرِّوايات فَهمًا صحيحًا:

أ. إنَّ أغلبَ هذه الرِّوايات تتحدَّثُ عن فِتَنٍ تَحدُثُ؛ والفِتنةُ هي التي لا يُعـرَف فيها وجهُ الحقِّ. فـإذا كان الحقُّ جَلِيًّـا وواضحًا وجبَ الكونُ معَه، وإلى جانبه، ولا يَكون المورد مشمولاً بتلك الرِّوايات.

ب. إنَّ معظـمَ هذه الرِّوايات تتحدَّثُ عن قضايـا خارجيّة وأحداث بعَينها، وليسـت في مقام إعطاء ضابطةٍ كُلِّية، بحيث تَشمل كلَّ التَّحـرُّكات التي تَهدف إلى دفع الظُّلم، وإحقاق الحقِّ والعدالة

---

١ - النعماني: الغيبة، ص.ص. ١٩٣ - ١٩٥، ح ٢

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٤٣، ح ٥٨.

الاجتماعيّة بينَ الناس.

ج. إنَّ بعضَ هذه الرِّوايات ناظرٌ إلى غير صورةِ الجهاد لإقامة الدِّين، وإظهار الحقِّ بأمر الفقيهِ العادلِ الجامعِ للشَّرائط، الذي هو النَّائب العامُّ للإمام عليه السلام، بل هي تتحدَّثُ عن القتال من أجل تحقيق بعض المَطامعِ الدُّنيويّة ولأغراض فاسدة كالتسلُّط على الناس.

د. إنَّ مبدأ الدِّفاعِ عن النَّفس والعِرض والمال والدِّين والوطن هو مبدأ فطريٌّ تَقتضيه الفِطرةُ الإنسانيّة السَّليمة، ولا يُمكِنُ القَبول بأيِّ رواياتٍ تُناقض هذا المبدأ الأصيل.

من هنا يَجب على الفرد والأمّة العملُ بقدرِ استطاعتِهما لتَعجيلِ الفرجِ بخطواتٍ سيتمُّ التطرُّق إليها، أمّا هذه الأفهامُ السَّطحيّة فهي تُخرِّب الانتظارَ والتَّمهيدَ، وهذا ما يَذهب إليه (الشَّهيد مطهّري): "يُطلَقُ على هذا التصوُّر السَّاذج تَسميةُ الانتظارِ المُخرِّب؛ لأنَّ أصحابَه يَقفونَ ضدَّ كلِّ إصلاحٍ وتَغييرٍ إيجابيٍّ في المجتمع، لأنَّ الإصلاحَ يُشكِّل نقطةً مُضيئةً على ساحةِ المجتمع العالميِّ، ويُؤخِّرُ الإمدادَ الغيبيَّ، كما يَعتبر هذا التَّصوُّر كلَّ ذنبٍ وتَمييزٍ وإجحافٍ مُباحًا؛ لأنَّ مثلَ هذه الظَّواهر تمُهِّد للإصلاح العامِّ، وتُقرِّبُ مَوعِدَ الانفجار"[1].

---

١ - الشهيد الصدر: نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، ص ٤٨.

ثمّ يُشير إلى سيِّئات هذا الاتِّجاه: "أنَّ الاتِّجاه المُخرِّبَ في فهم الظُّهور يَشترِكُ مع الاتِّجاه الديالكتيكي في معارضة الإصلاحات، واعتبار الظُّلم والفساد مُقدِّمةً ضَروريةً لانفجار مُقدَّس، ولكنَّ الفرقَ بين الاتِّجاهَين أنَّ الاتِّجاه الديالكتيكيَّ يُعارِضُ الإصلاحات، ويُؤكِّدُ على ضرورة تَشديد الفَوضى والاضطرابات، انطلاقًا من هدف مُشخَّص يَتمثَّلُ في تَعميق الفجوات والتَّناقضات لتَصعيد النِّضال، لكنَّ هذا التَّفكيرَ المُبتذَلَ في مسألة المَهديِّ يَفتقدُ هذه النَّظرةَ ويَرتئي زيادةَ الظُّلم والفَساد من أجلِ الوُصول إلى النَّتيجة المَطلوبة تلقائيًّا"[1].

انطلاقًا ممّا تمَّ التوصُّل إليه، من خلال ردِّ الشُّبهات المَطروحة حول مبدأ التحرُّك وتَعجيل الفرج، فإنَّ وظيفةَ المُؤمِن في زمن الغَيبة هي الانتظار والتَّمهيد، وأساسُ وظيفته يَقوم على إعداد الظُّروف وتَهيئة الأرضيّة اللَّازمة لظُهور الحُجّة، وذلك من خلال تربية النُّفوس ورَفع عَوامل الاستعداد بتَوعية الأفراد والجماعات بأهمِّية الانتظار وضروريته، لتَحقيق التَّهيئة والتَّمهيد لإقامة دولة الحقِّ، والإسهام الفعّال في بلورة عناصر الدَّولة المَهدويّة على مختلف المُستويات، عبر التَّركيز على ثلاثة عناصر هامّة تُشكِّل بمَجموعها محورَ القَضيّة المهدويّة ومَدارها، وهي (الفكرة) أو الأُطروحة والبرنامج التفصيليُّ لهذه الدَّولة.

---

١ -الشهيد الصدر: نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، ص ٤٩.

فالفكرةُ هي الرِّسالة التي تَحمل المفاهيمَ العامة والمَبادئ التي تَرتكزُ عليها الأُطروحة المَهدويّة، ويُمثِّل الإسلامُ روحَ هذه الأُطروحة وجوهرَها، غيرَ أنَّ التَّطبيق العالميَّ الشَّامل يَحتاج إلى تعميق الوَعي بهذه الأُطروحة، وتوسيع رَواجها بينَ الأُمم، وتَجذير الإيمانِ بما تَختزنُه من حلول لمشاكل العالم، عبر تَوسيع القاعدة الإيمانيّة فيها، وتَرسيخ معانيها في نفوسهم، وإلى تَفعيلٍ على أرض الواقع من خلال (العمليّة)، وهي التَّمهيد لظهور الحجّة، والسَّعي الدَّائم ببذل الجهد للإصلاح والتَّغيير في أرض الواقع من أجل التَّوطئة لظُهوره المُقدَّس، وهذه العَمليّةُ تَحتاجُ إلى (أدوات) فاعلة ومُحرِّكة لها على أرض الواقع، وهم المُنتظرونَ الذين يُؤمنون بالفكرة ويَفعلونها على أرض الواقع من خلال العملية، ويَتفاعلون معًا كأفراد ومُجتمعات ودُوَل في حمل هذه الرِّسالة وتَفعيلها.

إنَّ هؤلاء المُنتظِرين، أو الذينَ يُمكن أن نُسمِّيَهم القاعدةَ الشَّعبية المُلتفَّة حول الإمام ومشروعه العالمي، تَنقسم إلى خاصّة وعامّة، والخاصّة هم الصَّفوة من أصحاب الإمام وأنصاره، الذين عيَّنَت الرِّواياتُ عددَهُم بعدَّة أهلِ بدرٍ، والعامّة وهم عُموم الأتباع والمُوالينَ لا بدَّ لهم من السَّعي الحَثيث والمُستمرِّ لتحقيق الظُّروف السِّياسية والحضارية العالمية المُناسبة لقيام هذه الدَّولة ونَجاحها في تَحقيق العدالة التامّة والسَّعادة القُصوى للناس بمختلف مشاربهم وانتماءاتهم.

فالمُمهِّدونَ والمُنتظرون يَلعبون دورًا أساسيًّا وفَعّالاً في تعجيل الفَرجِ،

بحيــثُ تتوفَّرُ الشُّروطُ والمُعدّاتُ اللازمــة لكي يأتي العنصرُ الرَّابعُ والأهمُّ المُكمِّلُ للوحةِ الظُّهور ومَشــهديّته المُشرقة، وهو وجود القائد القادر على التصدِّي لقيادة مَسيرة هذه الدَّولة العالميّة بما يَمتلكه من قابليات ومَلَكات عالية جــدًّا، وقد تصدَّى التَّخطيــطُ الإلهيُّ المُحكَــمُ والمُتقَنُ لحفظ هذا القائد وادِّخاره وتَغييبِه لحين تحقُّق الشَّرائط الأخرى.

# الفصل الثاني:
# العوامل التفعيليّة للفرج على مختلف المستويات

## ● المبحث الأول: عوامل التَّفعيل للفَرج على المُستوى الفرديّ

على المستوى الفرديِّ لا بدَّ للمؤمن أن يَمتلِكَ عدّةَ أمورٍ، تُمكِّنُه من أن يكون مُنتظِرًا حقيقيًّا وفاعلاً:

١. الوعي العقائدي العميقُ بالإمام المَهدي (عجَّل الله تعالى فرجَه)، بحيث يُؤمِنُ به وبغَيبتِه وبظُهوره ودَولتِه العادلة وإنجازاته، ولا يَزيدُه طولُ الغياب إلا يَقينًا، فلا تُصيبُه الحيرةُ والشكُّ، ولا يَنفعِلُ بالادِّعاءات المُضادّة التي تُحاولُ زَعزعةَ إيمانِه بهذه القضيّة الحَقِّ، خصوصًا في عصر التقدُّم والتِّقنيّة، حيث كثرت الإشكالات المُتوجِّهة إلى الدِّين ومختلف قضاياه، ومنها القضيّةُ المَهدويّةُ، حيث تَحتكِمُ التَّجربةُ الأخلاقيّةُ الغَربيّةُ المعاصرة إلى منظورٍ برغماتيٍّ نَفعيٍّ يَعمل على تقويض الأخلاق الإنسانية، مع تفعيلِ الصِّراع على امتلاك قوالبِ التَّمركُزِ العالميِّ، فضلاً عن أنَّ هذه الهَجمةَ الغربيّة مَدعومةٌ بنظريّاتٍ في اللاهوت السِّياسيِّ والأخلاقي.

٢. (فرنسيس فوكوياما) ونهاية التَّاريخ: يُمكِنُ أن يُشكِّلَ (فرنسيس فوكويوما) فاتحةً لهذا المَسار، ففي أواخر سنة ١٩٨٩م نشر فوكوياما مقالاً تحت عنوان «نهاية التَّاريخ»، طرحَ فيه عدّةَ رُؤًى أهمُّها:

- إنَّ البشريّة قد وصلَت إلى ذروة تطوُّرها الحضاري، ونهاية مسار التكامُل العلميِّ والتِّقنيّ، بحيث أصبح البشرُ قادرينَ على حلِّ جميع المشاكل الصَّغيرة والكبيرة التي تَعترضهم، وهذه الفكرةُ استثمرَها كثيرونَ في القرن الحادي والعشرين أيضًا، خصوصًا مع تبلوُر فكرة الذَّكاء الصِّناعيِّ، وتطوُّر صناعة الرُّوبوتات التي أصبحَت قادرةً على فعل أيِّ شيء، بحيث قد تَستغني الشَّركاتُ الكبرى عن اليد العاملة البشريّة في المستقبل القريب، فأيُّ حاجة بعدُ للدِّين وقد وصل العلمُ إلى ما وصل إليه، فضلاً عن فكرة المُخلِّص وما يَرتبط بها.
- إنَّ التَّاريخَ قد وصل إلى نهاية خطِّ التطوُّر الأيديولوجيِّ في نظريّات الحُكم وتَطبيقاتها، بحيث تُشكِّلُ الدِّيمقراطيةُ الغربية النَّموذجَ الأمثل والنِّهائيَّ في هذا المجال، بل قد نصل إلى مرحلة تَنتفي الحاجة للدَّولة أصلاً مع العَولمة والثَّقافة العالمية المُتجانسة، كما يُركِّز فوكوياما على أنَّ الخطر المحتمل يأتي من الأديان والقوميّات، وبالتَّحديد من الإسلام، إذ ما زال المسلمونَ، وخاصّةً المُتديِّنونَ منهم، يَعتبرون أنَّ الإسلامَ هو الحلُّ، وأنَّ الإسلام دينٌ يَعدُّ الدَّولةَ من أهمِّ أهدافه، حيث إنَّ العقيدة والثَّورة الفكريّة التي

يُنادي بها الإسلامُ لا بدَّ لها من قوّة تَحميها، وهذه القوّةُ لا تُؤثِّر إلّا إذا أشرفَت عليها دولةٌ ذاتُ منهاج وأنظمة، من هنا نَرى البعضَ قد حاول تشبيه الإسلام بالمسيحيّة، لجهة أنَّ الدِّينَ هو دعوة روحيّةٌ هدفُها هدايةُ البشريّة، وليس من وظيفة النبيِّ المُصلِح إقامةُ الدَّولة، وهذا القياس قياسٌ مع الفارق، فالمسيحيّةُ التي لم تدعُ إلى تشكيل نظام سياسيٍّ يَحقُّ لاتباعها أن يُطبِّقوا أيَّ نظام حكمٍ يُريدونه، أمّا الإسلام الغنيُّ بالتَّشريعات الإداريّة والجنائيّة فهو دينُ دولةٍ.

يَنقل (الشَّيخُ باقر شريف القرشي) في كتابه «النِّظام السياسيّ في الإسلام» قولاً لأحد الأساتذة الغربيِّين (فمبري) في معرض خطابه لأحد الأدباء الأتراك المسلمين قائلاً له: "إنَّ فِقهَكُم الإسلاميَّ واسعٌ جدًّا إلى درجة أنيِّ أقضي العجبَ كلَّما فكَّرتُ في أنَّكم لم تستنبطوا منه الأنظمةَ المُوافقةَ لزمانكُم وبلادكم". وها هو المستشرق (مونتجمري وات) يَكتب كتاب «محمَّد في المدينة»، يُبرزُ في هذا الكتاب كيفيّة إنشاء الدَّولة الاسلاميّة، وَفقًا لأحدث النَّظريّات في إنشاء الدُّوَل. أمَّا اليهود والمسيحيون فقد تخلَّوا عن دعوى إقامة دولة ثيوقراطية دينيّة، واتَّجهوا نحو العلمانيّة.

٣. الوعي بالتَّحرُّكات الغربية في مواجهة الإسلام، المُستنِدةِ إلى عدّةِ وسائل، ومن بين هذه الوسائل:

- تَشويهُ الإسلام داخل المجتمعات الغربية، من خلال

إظهـاره بأنَّه دينُ التَّخلُّف والرَّجعيّـة والعُنف والعمل على الإسـاءة إلى رموزهـم، عـبر اسـتغلال بعـض التَّصرُّفات الخاطئـة عنـد بعـض المسـلمين، وإلصاقهـا بالإسـلام والمسـلمين كافّةً، وقد أدَّى هذا التَّشويهُ إلى انتشار ظاهرة الخوف من الإسـلام في الغرب (الإسـلاموفوبيا)، وكذلك ظاهرة التَّمييز ضدَّ مسـلمي الغـرب، بحيث أقدمَت بعضُ الجامعات العريقة في فرنسـا وغيرها من الدُّول الأوروبيّة، التي تدَّعي المسـاواة والحفاظ على حقوق الإنسان، على منع المُسـلمات من ارتداء الحجاب، فضلاً عن الإساءات المتُكرِّرة للنبيِّ (ص) في الصُّحف الأوروبيّة، كديرشـبيغل الألمانيّة، وشارلي إيبدو الفرنسيّة، وصولاً إلى قضايا حرق القرآن في السـويد بحمايةٍ من الشُّرطـة المَحليّة، كلُّ ذلك بهدف استفزاز المسلمين ومشاعرِهم، وهذا السُّلوكُ يُشكِّل جزءًا لا يتجزّأ ممّا يَدور في العقلية الغربية.

- شـنُّ الحروب الخشـنة عـلى بلدان إسـلامية، كما حصل في غـزو العراق من قِبَلِ أميركا، والحرب على أفغانسـتان، ونشر الفتنة في سـوريا، وهذا الأمر أدَّى إلى سقوط مئات آلاف القَتلى، ثمّ تجويع الشَّعب السُّوري عبر قانون قيصر، وكذلك ما حصل في ليبيا، مُرورًا بتقسيم السودان وشرذمته،

وصـولاً إلى ما يجري في فلسـطين عمومًا وغزّة خصوصًا من قتلٍ وتهجير لأهل الأرض الأصليِّين.

- تصدير الثَّقافة الغربية إلى المجتمعات الإسلامية، بالوسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والثَّقافية، عبر ما يُسـمَّى بالحرب النَّاعمة، وهذا قد يكون السِّلاحَ الأخطرَ والأفتـكَ، لأنَّه يَضرب من الدَّاخل ببـطء، ولكنَّه سرعان ما يَقضي على القِيَم والأُسـس والعـادات والتقاليد التي تُؤمن بها المجتمعات الإسـلاميّة، وصولاً إلى تحويلها إلى نسخة مَمجوجة عن المجتمعات الغربيّة وغير ذلك.

وبمجموع تلك الوسائل وغيرها استطاع الغربُ أن يَخلُقَ مظاهرَ الضَّعف والتَّفرقة في المجتمعات الإسـلامية، وأصبحَ كثيرٌ من الأنظمة العربيّة تابعًا للغـرب، حيث فقدوا الثِّقةَ باللـه، وفقدوا الثِّقةَ بالنَّفـس، وخسروا عواملَ التَّماسُك والقوة.

٤. إنعـكاس الإيمـان العقائـدي العميق عـلى الرُّوحيّـة والتَّطبيق العمليِّ:

إنَّ هذا الإيمـانَ العقائديَّ المتأصِّلَ والواعي لظروف عَصره، والمُتبصِّر بمؤامـرات الأعداء، الجاهزَ لمواجهتها والصُّمود أمامَها، لا بدَّ أن يَنعكسَ عـلى البُعدَين الرُّوحـيِّ والعَمـليِّ للشَّـخصيّة المُنتظرة، فيَـزداد التَّلاحُم والالتحام الرُّوحي بالإمام (عج)، والتعلُّقُ الوجدانيُّ بالإمام؛ فيَسعى الفردُ

منّا إلى أن يُعزِّزَ هذا الشُّعورَ ويُغذِّيَه بكلِّ ألوان الدُّعاء والمُناجاة، لكي يَشعُرَ المؤمنُ بلَوعةِ الفَقد وحرارة الوَجد على فراق إمامِ زمانِه، ويُردِّد صادقًا كلمات الأدعية فيَقرأ:

"عزيزٌ عليَّ أن أرى الخلقَ ولا تُرى، ولا أسمعُ لك حَسيسًا ولا نَجوى، عزيزٌ عليَّ أن تُحيطَ بك دُوني البَلوى، ولا يَنالُكَ منِّي ضَجيجٌ ولا شَكوى، بنَفسي أنتَ من مُغيَّبٍ لم يَخلُ منّا، بنَفسي أنتَ من نازحٍ ما نزحَ عَنّا، بنفسي أنتَ أمنية شائقٍ يتمنَّى، من مُؤمنٍ ومُؤمنة، ذِكرًا فحَنَّا، بنَفسي أنتَ من عقيد عزٍّ لا يُسامى، هل من مُعينٍ فأُطيلَ معَه العَويل والبكاء؟ هل من جَزوعٍ فأساعِدَ جزعَه إذا خَلا؟ هل قَذيَتْ عينٌ فساعدَتْها عَيني على القَذى؟" وهو يَعيش معنى كلِّ لفظٍ من هذه الألفاظ المُؤثِّرة.

إنَّ هذَين العُنصرَين، أي البناء العَقائدي العميق والمُتبصِّر واللُّحمة والإنجذاب الرُّوحيَّين، لا بدَّ أن يُستتبَعا بالعنصر الثالث الأهمِّ والمُكمِّل لهما، بحيث تُشكِّل هذه العناصرُ الثَّلاثةُ معًا الشَّخصيّةَ الإيمانيّة والرِّساليّة التي يُريدُها منّا الإمامُ، وهو الالتزامُ العمليُّ بكلِّ ما تمَّ الاعتقادُ به، فيكون الفردُ من الذين يَعقلونَ فعلًا، ويَسلكُ سبيلَ الذين يَعلمون أنَّ الشَّخصية السَّويّةَ هي التي يَتلاءَمُ سلوكُها ومواقفُها العمليّة مع محتواها الدَّاخليِّ، المُتمثِّل في الأفكار والعواطف، وهذا هو الامتحانُ الأصعبُ.

فالتَّنظير سهلٌ على مختلف المُستويات، لكنَّ انعكاسَ هذه التَّنظير على التَّطبيق والمُمارَسة هو المحكُّ، فمن تكون سيرتُه الحياتيّةُ والعمليّةُ

مُجسِّـدةً لأفكاره ومشـاعره يَنعكس ذلك بشـكلٍ مباشرٍ في ترسـيخ حالةِ تـوازُنٍ في الشَّـخصية، وبُعدٍ عن كلِّ أنحاء الازدواجيـة والانفصام والرِّياء والنِّفـاق والمِراء والجدال وغيرها من الصِّفات الذَّميمة التي يَنشـأُ بعضُها مـن بعضٍ، وأمَّا مَن تكـون أفكارُه في وادٍ وتصرُّفاتُه في وادٍ آخَرَ فهو يَعيش حالةً مَرَضِيّةً، ولن يَدوم تأثيرٌ لأقواله على مُخاطَبيه، إذ سرعان ما يَكتشفونَ هـذه الازدواجيّةَ، وقد نبَّه القرآنُ الكريم على خطورة هذه الظَّاهرة، قالَ اللَّهُ تَعَـالَىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: ٣].

وكذلك نبَّهَت الرِّواياتُ الواردةُ عن أهل البيت (عليهم السـلام)، كما في قول الإمام الصَّادق عليه السلام: "كُونُوا دُعاةً للنَّاسِ بغَيرِ ألسـنتكُم، لِيرَوا منكُمُ الـوَرَعَ والاجتهادَ والصَّلاةَ والخَيرَ، فإنَّ ذلـكَ داعيةٌ"[1]، ويُروى عن الإمام عليٍّ (ع) في غُرَرِ الحِكَم: "إنَّ الوَعظَ الذي لا يمَجُّهُ سَمعٌ، ولا يَعدِلُه نَفعٌ، ما سكتَ عنه لسانُ القَولِ، ونطقَ به لسانُ الفعل"[2].

فلا معنـى لِمُؤمنٍ يدَّعي ارتباطَـه بالمَهديِّ الذي يُطبِّقُ الإسـلامَ تَطبيقًا عالميًّا شـاملاً، وهو يَنأى بنفسه عن هذا التَّطبيق، من هنا نجد حرصَ أئمةِ أهـل البيت (عليهم السـلام) على تكريس هـذا الفَهم الحقيقيِّ للتَّشـيُّع، ومحاربة الفَهم الخاطئ للتَّشـيُّع، الـذي حاول البعضُ أن يُبرِّرَ تَقصيرَه في

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص ٧٨، ح ١٤ وح ٩.
٢ - التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٣١، ح ١٦٢.

أداء التَّكاليف به، وهذا الاتِّجاهُ له جذور ضاربة في التشكُّل العقائديِّ الأوّل لدى المسلمينَ، فيما عُرف بفكر الإرجاء، وسُمِّيَت الفرقةُ التي تَنتحلُه وتُروِّجُ له بالمُرجئة، حيث كانوا يَقولون: "الإيمانُ قَوْلٌ بلا عَمَل، فهم قدَّمُوا القَوْلَ وأَرْجَؤُوا العملَ، أَيْ أَخَّروهُ، لأنَّهم يَرَونَ أَنَّهم لو لم يُصَلُّوا ولم يَصُومُوا لنَجَّاهُم إيمانُهُم تحتَ شعارات برّاقة كهذا الشِّعار: «لا تضرُّ مع الإيمان معصيةٌ، ولا تَنفعُ مع الكُفر طاعةٌ»، فهذا الفكرُ يَصبُّ جامَ تركيزه على الجانبِ القلبيِّ والعاطفي، وإن لم يَنعكس على الجانب العمليِّ.

ونَرى أنَّ هناكَ مَن حاولَ تَطبيقَ هذا المَفهوم الخاطئ على التشيُّع، مُروِّجًا لمَقولات باطلة مثل: "حُبُّ عليٍّ حسنةٌ لا تضرُّ معَها سيِّئةٌ". ولخطورة مثلِ هذه التوجُّهات نَرى التَّحذيرات الشَّديدة والمُتعدِّدة من أهل البيت (عليهم السلام) منها، فقد ورد حديث مُميَّز يَرويه جابر الجعفيُّ يُبيِّن فيه الإمام الباقرُ بوضوح هذا المُعطى، ويُركِّزُ عليه أيمَّا تَركيز: "يا جابرُ أيَكتفي مَن يَنتحلُ التَّشيُّعَ أن يَقولَ بحُبِّنا أهلَ البيت؟! فو الله ما شيعتُنا إلا مَن اتَّقَى اللهَ وأطاعَه، وما كانوا يُعرَفونَ إلا بالتَّواضع والتَّخشُّع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصَّوم والصَّلاة والبرِّ بالوالدَين، والتَّعهُّد للجيران من الفقراء، وأهل المَسكنة، والغارمين والأيتام، وصدق الحَديث وتلاوة القرآن، وكفِّ الألسن عن النَّاس إلا من خَير. قال جابر: يا ابنَ رسول الله ما نعرفُ أحدًا بهذه الصِّفة. فقال: يا جابرُ لا تَذهبنَّ بكَ المَذاهبُ، أحسبَ الرَّجلُ أنْ

يَقـولَ: أُحِبُّ عليًّا صلواتُ اللـه عليه وأتَوَلَّاهُ، فلو قال: إنيِّ أُحِبُّ رسـولَ اللـه صلَّى الله عليه وآله، ورسـولُ اللـه خيرٌ من عليٍّ، ثمّ لا يَتَّبِعُ سـيرتَه، ولا يَعملُ بسـنّته، ما نَفعَه حبُّه إيّاه شيئًا، فاتَّقوا الله، واعملوا لما عندَ الله، ليـس بينَ الله وبينَ أحدٍ قرابةٌ، أحَبُّ العِبـاد إلى الله وأكرمُهُم عليه أتقاهُم لـه وأعمَلُهُم، مَن كان للهِ مُطيعًـا فهو لنا وَلِيٌّ، ومَن كان لله عاصيًا فهو لنا عدوٌّ، لا تُنالُ ولايتُنا إلا بالعَملِ والوَرَعِ"[1].

## ● المبحث الثاني: العوامل التَّفعيليّة على المستوى الجماعي

قبلَ الحديث عن هذه العوامل لا بدَّ من طرح إشكاليّةٍ طرحَها (الشَّهيدُ مطهّري) و(الشَّهيد الصَّدر) وغيرُهما، وهي أنَّ الأصالة للفرد أو للمجتمع أو لكليهِما:

**١ - أصالة الفرد أم أصاالة المجتمع:**

تنوَّعَـتِ الاتِّجاهاتُ والآراء في المدارس المختلفة في الاجتماع والتاريخ الإنسـاني في التَّركيز على الفرد أو على المجتمع، في دراسـة حركة التاريخ والحاضر والمسـتقبل، تأثيرًا وتأثُّرًا، ففيما تُركِّزُ بعضُ النَّظريّات على أصالة الفـرد، وتَعتـبرُ أنَّ المجتمـع ليس مُركَّبًـا حقيقيًّا، بـل هو مركَّـبٌ اعتباريٌّ كالمركبـات الطبيعيّة، فلا تتبادلُ عناصرُه التأثير والتأثُّر؛ فلا يكون للمجتمع بناءً على ذلك قانونٌ ولا سـنّةٌ ولا مصيرٌ ولا دراسةٌ مستقلّة، وتَذهب أُخرى

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٧٤، ح ٣.

إلى أصالــة الفَرد أيضًا وكــون المجتمع مُركَّبًا بالتَّركيــب الآليِّ نظير الرَّابطة الفيزيائيّــة فى المُخترعــات الصِّناعيــة أو الآليّــة، وثالثةٌ إلى القــول بأصالة المُجتمع، فهو مُركَّبٌ حقيقيٌّ فوقَ المُركَّبات الطَّبيعيّة، فالأجزاءُ فى المُركَّبات الطَّبيعيّــة لها ذواتٌ وآثارٌ حقيقية قبلَ التَّركيــب، لكنَّ الفردَ قبل الانطواء فى المُجتمع ليسَــت له هويّةٌ إنســانيّة، بل هو اســتعدادٌ مَحضٌ له قابلية التلبُّس بالرُّوح الجَماعية، فهو إنسانٌ بالقوّة، ولا تَبرُزُ إنسانيّتُه، أي أحاسيسُه ومُيولُه وأفكارُه وعقائدُه وعواطفُه، إلَّا تحتَ إشعاع الرُّوح الجماعيّة.

والنَّظريّةُ الإســلاميّة في هذا المَجال لا تأخذُ بــكلِّ نَظريّةٍ على حِدة، بل تقــومُ بالتَّوفيق بينَها عبر القول بالأصالتَينِ معًا، فلقد أكَّدَ القرآنُ على الرُّوح الجماعية والمَسؤولية المُجتمعيّة، ومن هنا كان الحديث عن عذاب الأُمّة وأجــلِ الأُمم، ومَصيرِ الأُمم، وعقاب الأُمم، وليس ذلك إلا لأنَّ للمجتمع والأُمّة روحًا واحدة، تُصحِّحُ هذه المســؤوليّةَ وتُســوِّغُ هــذه التَّوصيفات، فالقــرآن يُؤيِّــدُ وُجودَ نَــوعٍ من الحيــاة للمجتمع هي الحيــاة الاجتماعية، وذلك ليس مُجرَّدَ تمَثيلٍ أو استعارة، بل هى حقيقةٌ واقعية، كما أنَّ الموتَ الاجتماعيَّ حقيقةٌ بدوره واقعيّة[1].

قَالَ اللَّــهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۞ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾ [الحجر: ٤-٥].

---

١ - راجع: مرتضى مطهري: المجتمع والتاريخ.

قَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

من هنا وأمام الدَّور المفصليِّ والأساسيِّ الذي تُعطيه الرُّؤيةُ الإسلاميّة بشكلٍ عامٍّ، والقرآن بشكلٍ خاصٍّ، للرُّوح الجماعيّة وللأمّة المُتشكِّلة من الأفراد، يترتَّبُ على ذلك الدَّور مَسؤوليّاتٌ بحَجمه، خصوصًا مع ملاحظة بُعد آخرَ أشار إليه القرآن الكريم، وهو فكرة القانون التاريخيِّ أو السُّنَنِ التاريخيّة، ففي ضوء هذا المفهوم القرآنيِّ لم يَعُدِ التَّاريخُ تراكمًا عشوائيًّا للأحداث، بل مسارٌ يَمشي ويَتكامل وَفق قوانينَ وسُنَنٍ حاكمة.

قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وعَلَا-: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٢].

وقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

وكما أشار القرآنُ إلى هذه السُّنن كذلك ركَّزَ على أهميَّة الاقتداء بها، والاعتبار بمُجرَياتها، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦].

وقَالَ اللَّهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:١٣٧].

**٢ - القوانين التي أشار إليها القرآنُ الكريم:**

وهـي القوانين المتعلِّقةُ بالحضارات والأُمم، ويُمكِنُ الإشـارة باختصار إلى أهمِّ هذه القَوانين، وهي:

أ. قانون الآجال المؤقَّتة: فلِكُلِّ أمةٍ أجلٌ، وكلُّ أمةٍ تَصعد إلى القِمّة ثمَّ لا تَلبثُ أن تَنهارَ.

قَالَ اللَّهُ سُـبْحَانَهُ: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِـذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَـمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْـتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [النحل: ٦١].

ب. قانـون الخلاف والاختلاف: حيث يُشـكِّلُ فطرةً بشريّةً للخَلق، ومِن سُبُل التَّنافُس الشَّريف نحو النُّموِّ والتقدُّم.

قَالَ سُـبْحَانَهُ: ﴿**وَلَوْ شَـاءَ رَبُّكَ لَجَعَـلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِـدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ [هود: ١١٨]

ج. قانـون الدَّرجـات والتَّسـخير: حيث فـرَّقَ اللهُ بـينَ البشرِ في الدَّرجات في نَواحي الحياة المُختلفة، وسـخَّرَ بعضَهم لخدمة بعض.

قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [الزخرف: ٣٢].

د. قانـون العذاب: فلكلِّ أمّةٍ أجلٌ يُوقِـفُ عطاءَها، وتكون نهايتُها

عندَه، وهذه النِّهايةُ تَرجِعُ إلى مُسبِّبات مُتعدِّدة كالنَّخر الدَّاخلي، أو الضَّغط الخارجـي، أو العوامل الطَّبيعية، وقد دلَّتْ على هذا القانون آياتٌ عديدة.

قَالَ -سُـبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْـتَرُونَ بِـهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُـونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٧٤].

ه. قانـون المُترَفـينَ والأكابر: هو من أهمِّ الأسـباب الدَّاخلية التي تُؤدِّي إلى عذاب الأُمم.

قَالَ -سُـبْحَانَهُ وتَعَـالَىٰ-: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَـا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَـةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء: ١٦].

و. قانون البَطَر: فالبَطَرُ هو التَّرَفُ الشَّخصيُّ أو الجَماعيُّ المَصحوبُ بمَنعِ النَّاسِ لحُقوقِهم، قد أدَّى إلى انتهاء الحضارات الكبيرة في التاريخ.

قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ**﴾ [القصص: ٥٨].

ز. قانـون التَّدافُع: بـينَ الأُمم عبرَ تَسـليط قومٍ على قـومٍ آخَرينَ، للتَّذكير والامتحان أو الإزالة عندَ الاستحقاق.

قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وعَلَا-: ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَـاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**

﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١].

إلاّ أنَّ القانونَ الأبرزَ والأخطرَ في هذا المجال يَبقى قانون الاستبدال، وخلاصتُهُ أنَّ الإسلام يَحملهُ مَن كانَ أهلاً له، ويُعطيه من وَقته وجهده، وليس حِكرًا على أحد، وهذا ما حصلَ تاريخيًّا، حيث تمَّ استبدالُ العربِ بالعَجم حينَما تخلَّفوا عن نُصرة الإسلام، فأعاد العجمُ عِزَّ الأمّة، إنَّ القرآن يُشير إلى حقيقة قطعيّة في هذا المجال، وهي أنَّ الأجيال التي لا تتحمَّل مَسؤولياتها التَّاريخيّة في صون الأمانة وحفظ الأهداف الإلهية في التاريخ لن تقفَ في النِّهاية حائلاً دون بلوغ ذلك، فإنَّ اللهَ يَستبدِلُهُم بغَيرِهم ولا يكونُ البُدلاءُ مثلَهُم[1].

قَالَ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ۖ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

---

١ - راجع: خالد فائق العبيدي: القوانين القرآنية للحضارات.

انطلاقًا من هذه الرُّؤية الإسلاميّة، ومن هذه القوانين الحاكمة على التاريخ، والتـي تُريد أن تَجعلَ الأمّةَ في حالة اسـتنفار دائمـةٍ وقُصوى، وتحثُّها على السَّـعي والتَّكامل، وتحذِّرُها من البَطر والاسـتغراق في الرَّذائل والظُّلم، بل وتُنشِئُ لها قوانين تَحفيزيّة ومُشجِّعة على التَّغيير وتحمُّل المَسؤوليّة، كقانون حتميّـة انتصار الحقِّ وظهوره على الباطل، قَالَ -سُـبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾ [الأنفال: ٧]، وقانون التَّـلازم بين العـدل في التَّوزيع والتقدُّم الاقتصادي، حيـث أكَّد القرآنُ على أنَّ تطبيـق نظام العدل والصَّلاح يَنتج عنه الرَّفـاهُ المَعيشيُّ، ونزولُ الخيرات وبركات السَّـماء، قَالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَلَـوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَـا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة:٦٦].

وقَالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْـتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾ [الجن:١٦] وصولًا إلى الوعد الإلهيِّ الحتميِّ بأنَّ العاقبة ستكون للمُتَّقـينَ، وأنَّ الأرض يَرِثُهـا الصَّالحونَ والمُسـتضعَفونَ، قَـالَ اللَّهُ -جَلَّ وعَلَا-: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَـا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّـنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَـضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُـمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًـا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النّور: ٥٥].

**٣ -الوظائف المُلقاة على عاتق المجتمع:**

أ. تكوين مجتمع الأنصار كمًّا وكيفًا: لَطالَما قرعَ أسماعَنا أهميّةُ الإعداد لنُصرة الإمام (عج) أو قادة جَيشه، ولَطالما رفعْنا الأيدي داعينَ لأن نكون من أنصار الإمام المَهديِّ، ولَطالما كذلك ردَّدنا في دعاء العَهد "اللَّهمَّ اجعَلْني من أنصاره، وفي زيارة آل ياسين "ونُصرتي لكم مُعَدّة"، إلّا أنَّ هذا الكلام لا معنى له إنْ بَقِي مجرَّدَ عبارت وألفاظ نُردِّدُها اعتيادًا أو في أوقات الصُّعوبات، ومن هنا فالنُّصرةُ لها مُستلزَماتٌ عمليّةٌ لا بُدَّ من تَوفيرها لكي نكون فعلًا من الأنصار، فإنْ كُنّا صادقينَ في أدعيتِنا فلا بدَّ أن نلتمس الصِّفات في أنفسنا؛ فمسؤوليّةُ الأُمّة الأساسية تُجاهَ إمامها أن تُفرزَ هذا الجيشَ أو هذه العدّةَ من الخُلَّص، وأن تعمل على تحليتهم بالخصائص التي تُؤهِّلُهم أن يكونوا من هذه الطَّليعة الحائزة على الدَّرجات العالية من الكمالات المعنوية، وقد أشارَت الرِّواياتُ إلى عدد من الصِّفات الأساسيّة التي لا بدَّ أن تَسعى الأمّةُ لتملُّكها وأهمُّها:

- الذَّوبانُ الكاملُ في حبِّ الإمام المهديِّ وعشقه، والشَّوقُ الدَّائمُ للتشرُّف برؤيته ونُصرته، وهوَ حبٌّ كبيرٌ وشوقٌ عظيمٌ نابعٌ من معرفة عظمة الإمام وعظمة الدَّور الذي سيَقومُ به؛ فالمعرفة أساسُ العمل، ولا طاعةَ ولا عبادة دون معرفة.
- الإخلاصُ الكامل للإمام (عج) وقوّة الإيمان: فعَن الإمام

الجـواد عليه السلام: "يَنتظِرُ خروجَـهُ المُخلصونَ"، وعنه أيضًا: "فإذا اجتمعَت له هـذه العُدَّةُ من أهل الإخلاص أظهَرَ اللهُ إمرتَهُ"[١].

كذلـك نجد الإمامَ الصَّادق عليه السلام في روايةٍ لطيفة يَربط بين قوّة الإيمان وصـدق الجهاد والنُّصرة، باعتبار أنَّ الإيمانَ هو المحرّكُ الأوّل للإنسـان، والدَّافـعُ لـه نحوَ الجدِّ والعمـل، فإنَّ مَن يؤمـنُ بقضيّة ويعتقـدُ بأهمّيّتها يتفاعلُ معها ويكونُ مُسـتعدًّا للتَّضحية في سبيلها، ولذا مَن يُريدُ أن يكونَ مِن أنصار الإمام المَهديِّ فعَلَيه ألّا يجعلَ الإيمانَ مُجرَّدَ شـعار وهويّة، بل يجـبُ أن يتقَمَّصَه ويتلبَّسَ به " رجالٌ كأنَّ قلوبَهم زُبَرُ الحديدِ، لا يَشـوبُها شكٌّ في ذاتِ الله، لو حَملوا على الجبالِ لأزالوها"[٢].

- كثرةُ العبادة: إنَّ العبادةَ ليسَت مُجرَّدَ طقوسٍ فارغة، بل هيَ منهجٌ تربويٌّ متكامل، تَبني الإنسانَ وتُزكيِّ نفسَه، وتُطهِّرُها منَ الشـوائبِ والأدران، فينفتح قلبُ الإنسـان على الغَيبِ ويتَّصـل باللـه، فتصغـرُ الدُّنيا في عينه، وتكـبرُ الآخرة في نفسـه، فهُم المِصداقُ الأكملُ والتجسُّدُ الأعظم للمُتَّقينَ، "عَظُمَ الخالقُ في أنفسـهم فصَغُـرَ ما دونَه في أعيُنهم، فهُم والجنّةُ كمَن قد رآهـا، فهم فيما مُنعَّمونَ، وهم والنَّارُ كمَن

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٨٣، ح ١٠.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ص ٣٠٨، ح ٨٢

قد رآها فهم فيها مُعذَّبونَ، قلوبُهم مَحزونةٌ، وشُرورُهم مأمونة، أجسادُهُم نَحيفةٌ، وحاجاتُهُم خفيفة، وأنفسُهم عَفيفة".

إنَّ كثرةَ العبادة هي التي تُنتِجُ الصِّفةَ الرَّابعة والمَركزيّة من صفات الأنصار، وهي الشَّجاعةُ والإقدام وقوّة الشَّكيمة، حيث يربطُ الإمامُ الصادقُ بينَ العبادة والشَّجاعة في وصفه لأنصار الإمام المهديِّ، فهم رُهبانُ اللَّيلِ في العبادة، سِمتُهم الذِّلّةُ والخضوعُ بحضرة المَولى العظيم سبحانَه وتعالى، لكنَّهم ليوثُ النَّهار في الحربِ والجهاد في سبيل الله، ونُصرة وَليِّه الذي ادَّخرَه لنُصرة دينه، وما كانوا ليَكونوا كذلكَ لولا كثرةُ عبادتهم، التي وطَّدَت علاقتَهُم بربِّهم، فاستمدُّوا منه العزمَ والصَّبرَ والتَّضحيةَ والجهادَ.

- تمنِّي الشَّهادة بينَ يدَيه: وهي صفةٌ عظيمةٌ من صفات أنصاره، كما قالَ الإمامُ الصّادق في وصفهم: "يَدعونَ بالشَّهادة، ويتمنَّونَ أن يُقتَلوا في سبيل الله..."[1]، لذلكَ يَنبغي لمَن يُريدُ أن يكونَ من أنصاره، عجَّلَ اللهُ فرجَه، أن يكونَ مُستأنسًا بالموت، وهذا ما لا يُمكنُ أن يكونَ ما لم يُهيِّئ الإنسانُ نفسَه ليكونَ باذلاً في فداءِ إمامه مُهجتَه، راغبًا في لقاءِ ربِّه، مُوطِّنًا على لقاء الله نفسَه.

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠٨، ح ٨٢.

إنَّ هذه الصِّفات ليست بالصِّفات السَّهلِ تَحقيقُها، من هنا نجد الرِّوايات تُشير إلى ذلك: "عن أبي عبد الله عليه السلام، إنَّه دخلَ عليه أحدُ أصحابه فقالَ له: جُعلتُ فداكَ، إنيِّ والله أُحبُّكَ وأُحبُّ مَن يُحبُّكَ يا سيِّدي، ما أكثرَ شيعتَكُم، فقال له: اذكُرْهُم، فقال: كثيرٌ، فقال: تُحصيهم؟ فقال: هم أكثرُ من ذلك، فقال أبو عبد الله: أمَا لَو كملَت العدّةُ الموصوفةُ ثلاثمائة وبضعةَ عشرَ كان الذي تُريدون، ولكنَّ شيعتَنا مَن لا يَعدو صوتُه سمعَه، ولا شَحناؤُه بدنَه. (إلى أن سألَ) فكيفَ أصنعُ بهذه الشِّيعة المُختلفة الذين يَقولون إنَّهم يتشيَّعون؟ فقال: فيهم التَّمييز، وفيهم التَّمحيص، وفيهم التَّبديل، يأتي عليهم سنونَ تُفنيهم، وسيفٌ يَقتلُهُم، واختلافٌ يُبدِّدُهم، إنمَّا شيعتُنا...مَن لا يَطمع طمعَ الغُرابِ، ولا يسأل النَّاسَ بكفِّه وإن ماتَ جوعًا.

قلتُ: جُعلتُ فداكَ، فأينَ أطلبُ هؤلاء المُوصَّفينَ بهذه الصِّفة؟ فقال اطلُبْهم في أطراف الأرض، أولئك الخَفيضُ عيشُهُم، المُنتقلةُ دارُهُم، الذين إن شَهدوا لم يُعرَفوا، وإن غابوا لم يُفتَقَدوا، وإن مَرضُوا لم يُعادوا"[1].

ب- نشر الفكر المَهدويِّ وصَبغُه بالصِّبغة العالَمية: إنَّ نشرَ فكرةِ المُخلِّص الأُمميِّ، الذي سيُخلِّصُ البشريّةَ المُتعَبةَ من مشاكلها المُتأصِّلة، ويَعيش معها آلامَها وآمالَها، وتعريف المجتمعات المختلفة والثَّقافات

١ - النعماني: الغيبة، ص ٢٠٩، ح ٤.

المُتنوِّعــة بمشروع الإمام المهدي (عج)، لإنقــاذ العالم وقيادته نحو حياة جديدة مليئة بالسَّــعادة والرفاهيّة لجميع البــشر، هو من واجب المُنتظِرينَ المُخلصــين. وفي الدَّولــة المَهدويّــة المَوعودة لا مكانَ للظُّلم والتسـلُّط والإكــراه وهضم الحقوق والتَّمييز العنــصري والعِرقي والتَّفاوت الفاحش بين الناس كما يحصل الآن في زمن ســيطرة اللِّيبراليّة المُتوحّشة، إذ تُسيطِرُ قلّةٌ قليلة من النَّاس على معظم ثروات العالم، فيما يَعيش الآخرونَ في فقرٍ مُدقِعٍ لا يَجدون ما يَسدُّونَ به رَمَقَهم، فبِقدر ما نستطيع أن نُحاكي تطلُّعات البشر المختلفة، ونلامِسُ أوجاعَهم وهمومَهم، نكون قد استطعنا التَّرويجَ لهذا المشروع، وحشــدَ المُتطلِّعينَ له والمُمهِّديــنَ؛ فهذا الرَّواجُ شرطٌ من شروط نجاح المَهديِّ وجيشه، وتعاطُفِ النَّاس معَه ومع رسالته، ويحصل ذلك بالإفــادة من المَيل الفطريِّ للنَّاس المَغروس في وجدانهم نحو فكرةِ المُخلِّــص، واليــوم الموعود، حيث لم يَخلُ دينٌ مــن الأديان أو ثقافةٌ من ثقافات الشُّعوب من فكرة المُنقذ.

إنَّ كلَّ مشروعٍ تغييريٍّ هو بحاجةٍ ماسّــة وحثيثــة إلى بنية وقاعدة ثقافيّة تَقــوم بالتَّرويج والتَّبيين الواضح والحضــاريِّ للفِكرة والمَشروع وأهدافه، والمنافع الكبيرة التي يَســعى لتحقيقها بأســلوب هادف عصريٍّ مُؤثِّر، من شأنه أن يَكسب للمشروع أنصارًا من أنحاء المَعمورة كافّةً، ويُوجِد الأرضيّةَ المناســبة للالتفاف العالمي حول القائم حين ظُهوره، خصوصًا في عصر العَولمة الثَّقافيّة والانتشار الكبير لوسائل التَّواصُل الاجتماعي.

كما لا بدَّ من العمل بطريقة توليديّة وتَرويجيّة للفكر المَهدويِّ، كذلك لا بدَّ من عدمِ إغفال البُعدِ الدِّفاعي في القضيّة، خصوصًا في عصر الشُّبهات والطُّروحات التي تُثار من كلِّ حدبٍ وصوب، للتَّشكيك بالقضيّة المَهدويّة في مختلف أبعادها، عبر دفع كلِّ الشُّبهات التي تُثار حول قضيّةِ المَهديِّ سواء على أساسٍ عقليٍّ أم نقليٍّ، فهذه الشُّبهات المُتعدِّدةُ تجد لها في الإعلام المُعادي كلَّ سُبل الدَّعم والتَّرويج.

وذلك يتمُّ على المستوى التَّطبيقيِّ، وليس فقط على المستوى النَّظريِّ، عبر إنشاء مُؤسَّسات إعلامية مُتخصِّصة في هذا المجال، كالدَّوريات، والإذاعات، والفضائيات، ومواقع الإنترنت، التي تُعرِّف بالإمام المَهديِّ، وتُبيِّنُ أهدافَ نهضته ووسائلَها، وتُوضِّح ضَرورتَها الحضارية وفوائدَها للنَّاس جميعًا، وتُعلِّمُ النَّاسَ سُبلَ الارتباط به والانتفاع بوُجوده المبارك، وتكشف عمَّا يُعانيه المَظلومونَ والمَحرومونَ من اضطهادٍ وحِرمان، وما تُمارسُه مراكزُ القوى في العالم من بَطشٍ وقمعٍ وتَنكيلٍ بالمُستضعَفينَ.

لا بدَّ أيضًا من التَّركيز في هذا المَقام على فشل كلِّ النُّظُم الحضاريّة والسياسيّة، والنُّظم والأيديولوجيات الأخرى، التي حكمَت المجتمعاتِ البشريّةَ، من حكم الرومان والأثِّينيينَ وسيطرة الكنيسة، وصولاً إلى الممالك في أوروبا، وكذلك بعض التَّطبيقات الخاطئة في الدَّائرة الإسلاميّة، انتهاءً بالعصر الحاضر وبُزوغ الفكر الماركسيِّ ثمّ أُفوله السَّريع بعد انهيار الاتِّحاد السوفييتي، واستبداله بالنَّموذج الرَّأسماليِّ الذي اتَّسَم

بالسَّيطرة والاستعمار ونَهبِ الثَّروات وتَعزيز التَّفاوت الاجتماعي، إلى عصر الحداثة وما بعد الحداثة والحداثة السّائلة وغيرها من النَّظريّات المتَّسمة بالفَوضويّة واللامنهجيّة، حتّى تَقومَ الحجّةُ عليهم.

إنَّ فشلَ هذه التَّجارب في تاريخ الإنسانية الطَّويل أدلُّ دليلٍ على كذبِ ادِّعاءات هذه النَّظريات؛ لأنَّ التَّجربة هي المحكُّ الأقوى في هذا الشأن، ومن جهة ثانية يُثبتُ هذا الفشلُ ولو بطريقة سلبية أنَّ العدلَ المُطلَقَ مُنحصِرٌ في رسالة الإسلام، وأنَّ الإسلامَ هو الحلُّ وهو البديل المنطقيُّ والعادل، بشرط أن يُطبَّق كما هو بتشريعاته السّامية والرائدة، ولا يكون هناك تفاوت بين النَّظريّة والتَّطبيق، ورد في الحديث: "ما يكون هذا الأمرُ حتَّى لا يَبقى صِنفٌ من النَّاسِ إلا وقد وُلُّوا، حتّى لا يقول قائلٌ: أمَا لو وُلِّينا لعَدلْنا، ثمَّ يَقوم القائمُ بالحقِّ والعدلِ.

إنَّ يأسَ النَّاس من كلِّ البَرامج الأُخرى، والأطروحات المادّية والوَضعية، يجعلُ أملَهم يَنحصر في رسالة الإسلام كبديل حضاريٍّ شاملٍ يَضمَنُ سعادةَ الفردِ، فالكثير من المؤشِّرات تُدلِّلُ على عُمق الأزمة التي تَعيشُها الرَّأسماليّةُ، سواء على الصَّعيد الاقتصادي أم الاجتماعي أم الأخلاقي، خصوصًا مع ما يَشهده الغربُ من سقوطٍ وانحدار قِيَميٍّ هائل، وتفكُّك أُسريٍّ واجتماعيٍّ، مع انتشار أفكار الجندر والتحوُّل الجنسي والشُّذوذ الجنسي والتَّطرُّف في الفكر النسويّ، فصَحيحٌ أنَّ الغربَ لديه مَكامنُ قُوّة علميّة وتكنولوجيّة إلّا أنَّ نقاط ضعفه ليست بقَليلية، وهي مُؤثِّرة وجَوهريّة

تُؤدِّي إلى سقوط النَّموذج والمنظومة، فيَنبغي الإضاءة عليها ؛ فالهَيبة التي تَسكن في قلوب الكثيرينَ من أبناء الأُمّة الإسلامية تُجاه الغرب وتقدُّمه الكاسح وهيمنته السِّياسية لا تُلغي وجودَ ثغرات هائلة ستنكشفُ بالجهود العلميّة والثقافيّة، التي تَسدُّ القصورَ في معرفة الغربِ وعيوبه وخفاياهُ.

وهنا تَبرُزُ أهميّةُ دراسة الغرب ونقده وتطوير علم الاستغراب المَعنيِّ برصد الاهتزازات الداخلية لمنظومة الغرب وتداعياتها الخطيرة في المستقبل القريب، بالإضافة إلى محاربة الأفكار التَّغريبيّة والانبهاريّة بل والانبطاحيّة أمام الغرب وثقافته وحضارته المُزيَّفة وشعاراته البرّاقة التي سقطَت بأسرها فيما يَحدث في غزّةَ من قتلٍ وتدمير وتجويع، بل إبادة لشعبٍ بأكمله من دون أن تتحرَّك الدُّول الغربيّةُ وتُسيِّلَ شعارات حقوق الإنسان.

ب. إضفاء النَّسَق الحضاريِّ على القضيّة المَهدويّة عبر تَعريفها للحضارات الأخرى: لا شكَّ بأنَّنا نعيش فترةً حسّاسةً في تاريخ البشرية الفكريِّ، بما تَنطوي عليه من تحوُّلات ثقافية ونقاشات فكرية كُبرى، حيث حقَّق الغرب تقدُّمًا تقنيًّا هائلاً، استثمرهُ في التَّنظير لأفكار كالحَداثة السّائلة لدى (زيغمونت باومان)، وقبلَه صراع الحضارات لـ ( صامويل هانتغتون)، فالمُواجهةُ الأمثلُ لمثل هذه الأفكار تكمن في التَّنظير لحوار الحضارات وتكامُلِها وَفقَ نسقٍ معرفيٍّ متكامل، عبر التَّركيز على القواسم المشتركة بين

الحضارات المختلفة، وذلك يتمُّ عبر اعتماد أُطُرٍ وسياقات مختلفة:

لا بـدَّ أن تكون نقطـةُ الانطلاق من القـرآن الكريم، الذي أسَّـسَ لمبدأ تعارُف الحضارات، وإفادتها بعضِها من بعضٍ، وليس للتَّصادم الحضاريِّ وللفَردانيّة والأفـكار النَّفعيّة والبراغماتيّة ونزعات هيمنة بعض الحضارات عـلى الأخرى، التي تُفضي إلى التَّصادُم الحضاريِّ، بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣].

فالأُمم والشُّـعوب والحضارا ت، مهما تنوَّعت وتوزَّعَت على مساحات الأرض، فهي مُطالَبة بتحقيق مبدأ التَّعارف، وهذا ما يُريدُه سبحانه وتعالى للإنسـانية، عبر السَّعي إلى تحيقق مستوًى رفيعٍ وراقٍ من العلاقات، وهذا يَسـتتبعُ معَه الانفتاحَ والتَّواصُلَ والحـوار، والذي من أبعادِه أن تتعرَّف كلُّ أمّـة وكلُّ حضارة على أفكار وثقافات وعقائـد الحضارات الأخرى، ومن أهـمِّ هذه الأفكار التي تَشـترك فيها كلُّ الأديان فكـرةُ المُخلِّص المَوعود، فقضيّةُ المُصلِـحِ العالميِّ أو المُخلِّص الأُمميِّ هي قضيّة إنسـانيّة قبل أن تكون دينيّة، هي عنوانٌ عامٌّ لطموحٍ مشروعٍ يتَّسم بالرُّقيِّ والسموِّ تتَّجه إليه البشريّةُ بمختلف أديانها ومذاهبها وانتماءاتها.

وهـذا يتطلَّبُ منّـا مهمةَ ومسـؤولية تَعريف وإيضاح حقيقـة المَهدوية ومركزيّتها ومحوريّتها للأُمم والشُّعوب الأخرى. فلا بدَّ أن يكون ما نطمح إليـه هـو أن نُوفَّقَ في أداء جزء من مسـؤولياتنا تُجاه الإمـام عليه السلام، فنُقدِّمَ

ونُوضِّح ونُوصِل ونُعرِّف حقيقةَ مَهدويّة أهل البيت (عليهم السلام) إلى كلِّ الأمم والشُّعوب، وكلِّ الكيانات الاجتماعية والحضارية في العالم، خاصّةً أنَّ العالم الغربيَّ بل حتّى الشَّرقيَّ يَعيش أزمةَ وعي وفهمٍ لأبعاد القضية المَهدوية ومقاصدها الكُبرى، فلا يَكفي الاقتصارُ على البُعد العقديِّ للقضيّة، أو التَّركيز على جانب علائم الظُّهور مثلاً، بل يتحتَّم على الثَّقافة والرُّؤى المَهدوية التي تُطرَح حاليًا أن تُواكبَ حركةَ المجتمعات البشرية والعَصرِ وتطوُّره، وحركة الأولويات والاحتياجات والرَّغبات الرَّاهنة وتطوُّر الفضاء الثقافيِّ العالمي.

إنَّ هذا التَّركيز على القواسم المشتركة لا يَنبغي أن يُلغي ضرورةَ طرحِ مَفهومِنا ورُؤيتِنا في قضية المُخلِّص الرَّبانيِّ الموعود بكلِّ صراحةٍ ووُضوح، وألَّا تَغيب هويّتُنا الإسلاميةُ، والتَّمسُّكُ بالخصوصية الفكرية، والسَّعي إلى إيصال هذا الاختلاف وتَبيينه بطريقة منهجيّة وبرُؤية حضاريّة[1].

ج. محاولة التَّركيز في الدِّراسة المَهدويّة على المنهج العقلي: عبر مقاربتها وَفقَ مبدأ العدالة وعلى ضوء فلسفة التاريخ، باعتبارها قيمةً إنسانيّةً عُليا ومسألةً مصيريةً مُتعلِّقةً بمستقبل البشرية، فالبعض يَقصر البحثَ في القضية المَهدوية على النُّصوص والرِّوايات، ويُحاولُ الدُّخولَ دائمًا في النِّقاش الكلاميِّ والبُعد الجدليِّ

١ - راجع: مجتبى السادة: تعريف المهدوية للحضارات الأخرى، ١٤٤١هـ.

للقضيّة، عبر التَّركيز على نقاط الاختلاف بين المذاهب الإسلاميّة، وهذا يُؤدِّي إلى أن تَغرقَ الأمّةُ في نزاعات كلاميَّة وطائفية لا تُوصِلُ إلى أيِّ نتيجـة، إلّا زيادة التَّـشرذُم والتَّفرقة بين أفـراد ومجتمعات الأمّة، وتزيد المسافةَ عن تحقيق المقاصد التي بُنِيَت عليها القضيّة المَهدويّة.

د. التَّركيز على التَّبيين للنّاس بأنَّ الهدفَ الأساسيَّ للمَهدوية هو نشر التَّوحيد والعدل في العالم كافّةً، عبر التَّغيير الشَّامل لأنظمة الظُّلم، فإنَّ تحقيـق الحدِّ الأدنى من إيمان الشُّـعوب المختلفة بالمَهدوية ومشروعها العالمي من أبرز مظاهر التَّمهيد للظُّهور، ويُؤدِّي بطبيعة الحـال إلى توسـيع قاعدته الشَّـعبية في كلِّ الأُمـم والحضارات، وازديـادِ عدد الأتبـاع والمُريدينَ الذين يَمتلكـون الرُّؤية الواضحة للأهـداف المَهدويـة والتَّغيير الجذري والشـامل الذي سـيُحقِّقُه الإمام عليه السلام في مسار تاريخ البشرية.

ه. التَّركيز على نشر الوعي والبصيرة بمُخطَّطات الأعداء التآمُريّة على القضيّة المَهدويّـة، وهذه الحركات تارةً تتَّخذ طابعًا سياسـيًّا وتارةً أُخـرى طابعًا فكريًّا، عبر العمل على القضـاء على هذه الفكرة من جذورهـا في وجدان الأمـة، وتَحجيمها في إطـار مَذهبيٍّ خاصٍّ، والمواجهة الحقيقيّة لهذا النهج تكمن في أن نتحمَّل كلٌّ من موقعه مسؤوليّتَنا الحضاريّة المُتمثِّلة بنَشر الحقائق الأصيلة عن المَهدوية،

وتعريـف الآخرين بها، والتَّرويج للمنظومة المعرفية المَهدويّة بكلِّ أبعادها وسياقاتها الحضاريّة.

و. التَّركيـز على مبدأ الحاجة الفطرية للمُخلِّـص: كجزءٍ لا يتجزّأُ من الفطرة الدِّينيّة المُتجذِّرة في عُمق الإنسـان، حيث قد برزَ في المدّة الأَخـيرة كثيرٌ من التَّشـكيكات في فِطريّة الدِّين، مـع بروز الأفكار الإلحاديّـة المُتنوِّعـة، عـبر محاولة جعل الإلحـاد عِلمًا لـه رُوّادٌ وفرسـانٌ يمَتطون صهوتَـه، بل يَنبغي البحـثُ في هذا المجال عن الحُجـب التي غطَّت هذا المِشـعلَ الفِطريَّ، فقد أسرفَ الإنسـانُ المُعـاصرُ في الحيـاة الماديّـة، وانغمـسَ في منجـزات الحضارة العلميّة، فصار جسدًا بلا روح، وعقلاً محضًا بلا ضمير، وضلَّ عن إنسانيّته الحقيقيّة، فالدِّين بشكلٍ عامٍّ وفكرةُ المُخلِّص بشكلٍ خاصّ تمُثِّلان حاجةً نفسيّةً واجتماعيَّةً متناسبة بل متطابقة مع طبيعة وفطرة الإنسـان، وهي تَزداد إلحاحًا كلَّما انغمسَت البشريّةُ في مستنقعات الظُّلـم والفسـاد والرَّذائـل بمختلـف أنواعهـا. فالعقـل البشريُّ والنَّفس الإنسـانية بفطرتها وطبيعتها تحـنُّ إلى الفضيلة وتَتوق إليها، وتسـعى إليها بكلِّ قواها ومُقدّراتها، فمُنذ نشأة الفلسفة، كتعبـير عن محاولة اسـتكمال للنَّفس والوجود الإنسـاني، دعا الفلاسـفةُ الأوائل كأفلاطون وأرسـطو وأبو نـصر الفارابي إلى تشكيل المدينة الفاضلة، فيما أصبحَ يُسمَّى في العصر الحديث

بيوتوبيا المدينة الفاضلة، والرُّؤيةُ الإسلاميّة وإنْ اختلفت في بعض التفاصيل مع أفلاطون في جمهوريّته وأرسطو في سياسته إلّا أنَّها تتَّفق معهم في كون السَّعي إلى المدينة الفاضلة هو ترجمةٌ وصدًى للإحساس الغريزيِّ المتُأصِّل لهذه الفكرة في عُمق النَّفس البشرية، الذي سيَبلغُ كمالَ تحقُّقه ومُنتهاهُ عندما تتحقَّق المدينةُ المَهدويّةُ الفاضلة.

ز. التَّركيز على البُعد العالمي في النَّهضة المَهدوية: فالدَّولةُ المَهدويّةُ ليسَت دولةً محدودةً في الإطار الجغرافيِّ الضيِّق، بل هي دولةٌ عالميّةٌ تَبسط هيمنتَها وسيطرتَها على جميع أنحاء العالم بشكل لا توجد معَها أيّةُ حكومة أخرى، في أيِّ بقعةٍ من بقاع الأرض، فالإمام (عجَّل الله فرجَه) سيُغيِّر جميعَ الحكومات الظَّالمة الموجودة، ويَدمجُها تحت لواء حكومته العادلة، حيث شعوب العالم يَنظرون لأنفُسهم على أنَّهم أُسرةٌ إنسانية واحدة، تَجمعُها قِيَمُ الحقِّ والعدل والمساواة، التي تُشكِّلُ أهمَّ المَحاور في حياة الإنسان، بما يُعطي للإنسان أهمَّ مُعطًى يَسعى إليه في دُنياه، وهو الكرامة والقيمة الإنسانيّة.

إنَّ هذه الأبعادَ الثقافيّة التي تمَّ الإشارةُ إليها على أهميَّتها القُصوى لا بدَّ أن تتكامل مع بُعدٍ أساسيٍّ لا غِنى عنه في التَّشكُّل النِّهائيِّ لإرهاصات الدَّولة المَهدويّة، وهو الإعداد العسكريُّ والجهاديُّ وإفراز الأمّةِ لقياداتٍ

وكوادرَ على مختلف المُستويات.

قَـالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُـمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ يُـوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

فـلا بدَّ للأمّة أن تَصقُلَ نفسَـها بالتَّجارب الجهاديّة والعَسـكريّة، وتُنمِّي خبراتِها في هـذا المجال؛ فالكفـاءاتُ العالية لأنصار المَهـديِّ وجنوده، التي تتحدَّثُ عنها الرِّواياتُ، ليسـت إلا نتيجـةَ تراكمات تاريخية وتكامُلٍ حاصل عـلى امتداد زمـن الغَيبة، بحيث يَبلـغ الوعيُ السِّـياسيُّ والحسُّ الجهاديُّ والخبراتُ القيادية لأبناء الأُمّة المُستوى الذي يُؤهِّلُهم للمشاركة بهـذا المشروع المَهـدويِّ الضَّخم على مختلف الأصعدة والمسـتويات، وقـد بدأت تتجلَّى ملامحُ هذا الإعداد العسـكريِّ والجهـاديِّ منذ انتصار الثـورة الإسـلاميّة المباركة في إيران، ونشـوء حـركات المقاومة في لبنان وسـوريا وفلسـطين والعراق، وأخيرًا اليمن الصَّاعد بقوّة في هذا المجال، بحيث أصبحَ للدَّولـة المَهدويّة الموعودة محورٌ وجبهاتٌ تُحاربُ الهَيمنةَ والاسـتعمارَ، وتمُهِّـد للدَّولـة المَهدويّة المَوعـودة بقَرابينِ الـدَّمِ والبَذل والتَّضحية والعطاء.

# الفصل الثالث:
# الحكومة المَهدويّة: مبادئ النَّموذج وسياقاته

## ● المبحث الأول: ضرورات الدَّولة المَهدويّة وسياقاتها التَّاريخيّة

### ١ - وجود الدَّولة وقيام الحكومة أمرٌ لا بدَّ منه في الحياة البشرية:

بـل هو من الضَّرورات الاجتماعيّة، باعتبـار أنَّ المجتمع البشريَّ يتألَّف من أفـراد تَحكمُهُم مَصالحُ وعلاقاتٌ مُتضاربةٌ وأذواقٌ ومَشـاربُ شـتَّى، بـل بدون هذا الوجود سـيكون المجتمـع ناقصًا، وسرعان مـا يَفقد بقاءَه ودَيمومتَه.

مـن هنا كانـت فكرة الحكومة وتأسيسـها مـن القضايا الأساسـية التي أكَّـد عليها أكابرُ الفلاسـفة والمُفكِّريـن قديمًا وحديثًا؛ فها هو (أرسـطو) في السِّياسـة[١] يقـول: "إنَّ الدَّولةَ من عمل الطَّبع، والإنسـانُ بالطَّبع كائنٌ اجتماعـيٌّ"، وكذلك (أفلاطـون) يَعتبر الدَّولةَ من الأمـور الطَّبيعيّة التي لا غنـى للنَّاس عنهـا[٢]، إلى (ابن خلدون) الذي يَسـتدلُّ على ضرورة وجود الدَّولـة بـضرورة الاجتماع الإنسـانيّ[٣]، وهذا ما نجدُه لـدى المُعاصرينَ كـثَروَت بَدوي الذي يقـول: "إنَّ أوَّلَ مقوّمات النِّظام السِّـياسيِّ هو وجود الدَّولـة، حتـى إنَّ البعـضَ يَربطُ بين مَدلول السِّياسـة وفكـرة الدَّولة، ولا

---

١ - أرسطو: السياسة، ص٩٦.

٢ - أفلاطون: الجمهوريّة، ص١٤.

٣ - ابن خلدون: مقدمة تاريخ ابن خلدون، ص.ص.٤١-٤٢.

يَعترِفُ بصِفة الجماعة السِّياسيّة بغَيرِ الدَّولة"[١].

إنَّ المطالعــة التاريخيّة العابرة تُرشِــدُنا إلى بعــض القائلين بعدمِ ضَرورة وجود الحكومة، ولكنَّهم قِلّةٌ بالقياس إلى القائلين بها، (كســان سيمون)[٢] المُعتقِــد بقدرة العقل والفكــر البشريِّ لوحده على توجيــه المجتمع نحو الخــلاص، لكنَّ الدِّراســات أثبتَــتْ أنَّ هذا العقل البشري، بشِــقِّه العمليِّ يُدرِكُ ضرورةَ وجود الحكومة انطلاقًا من طبيعة الإنسان الاجتماعية، ومَيلِه الطَّبعيِّ أو الــضَّروري للمَدنيّة، أو كـ(كارل ماركــس) ومُؤيِّديه المُعتقدين بالحاجــة المُؤقَّتــة للدَّولة أثناء معاناتِها من الــصِّراع الطَّبقي، بحيث تَنتفي هذه الحاجة بعد استقرار الشُّيوعيّة، وزوال الفَوارق الاقتصادية، وهذا ناتجٌ عن النَّظرة الأحادية للماركســية وأتباعها، حيث تَقديسُ المادّةِ والاقتصاد، واعتبارهما منشأً لجميع الدَّوافع.

إنَّ النَّظــرةَ التَّحليليــة الصَّحيحة لدوافع الإنســان لا تَحصرهــا بالدَّوافع المادية، فلدى الإنســان دوافعُ أخلاقيّة وغرائزيّة لا بدَّ لتنظيمها من تأسيسٍ لدولة وإقامةٍ لحكومة، من هنا نجد أنَّ الإسلام تلقَّى أمرَ تشكيل الحكومة

---

١ - ثروت بدوي: النظم السياسيّة، ص.ص.١-٧.

٢ - سان ســيمون: مؤسس مذهب السان ســيمونيّة في الاقتصاد والسياسة، ولد في باريس ١٧٦٠، وتُوفيِّ فيها ١٨٢٥ م، فيلســوف وعالم اجتماع فرنسي، يَدعو إلى إنشاء مجتمع صناعيٍّ إنتاجي، وإلى إخراج السلطات من أيدي رجال الدِّين إلى أيدي رجال الصِّناعة.

تلقِّيَ الضَّروريّات والفِطريّات الاجتماعيّة، فلم يَتدب المسلمينَ لتشكيل الحكومة وتأسيس الدولة، ذلك لأنَّ المجتمعات، كما قال العلاّمة الطباطبائي في الميزان، تَبذل المساعيَ في سبيل "إلقاء زمام الأمّة إلى مَن يُدبِّرُ أمرَها؛ لأنَّ المُلكَ من الاعتبارات الضَّروريّة في الاجتماع الإنسانيِّ، لذلك لم يَدعُ القرآنُ النَّاسَ إلى الاجتماع على تأسيسِ المُلكِ وتَشييد بنيان القَيصرية والكسرويّة، على اعتبار أنَّ ذلك من ضرورات الحياة ونوازع الفطرة، وإنَّما دَعا النَّاسَ إلى الاجتماعِ والاتِّحاد والاتِّفاق على الدِّين، ونَهاهُم عن التفرُّق والشِّقاق فيه، وجعَلَهُ هو الأصلَ"[1].

**٢ - ضروريّة وفطريّة هذا المبدأ:**

في الاجتماع الإنسانيِّ يُمكِنُ أن نضمَّ له مُقدِّمات فِطريّةً أخرى، كعلاقة حركة الإمام المَهديِّ عليه السلام بمبدأ الحتميّة الإلهيّة وفلسفة التَّاريخ، والمقصودُ بالحَتميّة الإلهية البحثُ عن حلقة التَّغيير والتَّكوين الاجتماعيِّ في المجتمع الإنسانيِّ، بحيث يَصل إلى مستوًى يُؤهِّل النَّوعَ الإنسانيَّ ليَكونَ أهلاً ومُستحقًّا ليَحكُمَه العدلُ المَهدويُّ؛ فإنَّ جميعَ الرِّسالات السَّماوية قد اهتمَّت بتَربية البَشريّة من أجل ارتقائها إلى المستوى الذي تتقبَّلُ به العقيدةَ المَهدويّةَ في المرحلة الأولى، وفي المرحلة الثانية تتعمَّق الحركةُ المَهدوية عندما يظهر الإمامُ عليه السلام، وعلى ذلك يمرُّ النَّوعُ الإنسانيُّ

١ - راجع: محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص.ص.١٤٤-١٤٩.

بمرحلتَـينِ تمَهيديَّتَين: مرحلـة العقيدة، ومرحلة إجـراء العقيدة وتنفيذها وتَسييلها على أرض الواقع.

أمّا المقصودُ بفلسـفة التاريخ فعرَّفَها (دوركهايم) بأنَّها: "البحثُ في تحديد الاتِّجاه العامِّ لتَطوُّر الإنسانية وإيجاد قانونٍ لحركة الحياة البشرية في خطوط دائرية أو مسـتقيمة". فالغايةُ من دراسـة فلسـفة التاريخ الوصولُ إلى معرفة الجامـع للأحداث والحضارات وتحليلها، ومعرفة قوانينها وسُـننها، وقد مرَّ في بعض مباحث الكتاب التَّنظير للتأصيل الدِّينيِّ والسُّنَنيِّ التَّاريخي القرآني.

ولا بدَّ من الإشـارة في هـذا المَقام إلى أنَّه كما أنَّ التاريـخ الدِّينيَّ يُنظَر إليه مـن خلال علـم التَّاريخ وفلسـفته، كذلك العقيـدة المَهدوية يُنظَـر إليها من خـلال علم التَّاريخ وفلسـفته لعدّة جهاتٍ واعتباراتٍ، فهـي الامتدادُ العقديُّ والرُّوحيُّ للإسـلام، عبر انبثاقِها من التَّوحيـد والعدلِ الإلهيِّ والنبوَّة، كما أنَّها المُتمِّمُ للأدوار التي يُؤدِّيها قادةُ التَّوحيد في قيام دولة التَّوحيد والعدل الكُبرى والاسـتخلاف الإلهي، باعتبارها الحلَّ الأخير والنِّهائيَّ للمُشكلة البشرية، بعد تهافُـت كلِّ النَّظريات الوَضعية، لأنَّه من غير المُمكـنِ أن تُترَكَ البشريّةُ بدون حلٍّ إلهيٍّ، كما أنَّ دولةَ التَّوحيد والعدل هي الضَّمانةُ الحقيقية لإيصال البشرية إلى سـعادتها وكمالاتهـا المَعرفيّة والرُّوحية والماديّة، بـل هي التجلِّي الأرقى والأنقى لكلِّ الأسماء والصِّفات الإلهية الجمالية والجلالية في عالَم الإمكان.

**٣ - المصداق الأكمل للوَعد الإلهيِّ بوراثة الصَّالحينَ للأَرض:**

إنَّ الغايةَ الإلهيّةَ من بعثة الأنبياء (ع) تكمن في إقامة القِسط في الأرض،

وإقامة العَدل الذي هو سرُّ الاستخلاف الإلهيِّ للأنبياء والأولياء، وهذه الغاية لا يُمكنُ تَحقيقُها فقط بإرسال الرُّسُل، وإنَّما بالتَّمكينِ لهم في الأرض لكي يُستكمَلَ المَشروع الإلهيُّ على أكمل وَجه؛ فالتَّمكينُ وعدٌ إلهيٌّ، حيث لا يمُكنُ أن تتحقَّقَ الوراثة للأرض من دُونه، بل إنَّ الحكومةَ الإلهيّةَ المَهدويّةَ للذين استُضعِفُوا في الأرض لا يمُكنُ تَحقيقُها إلا من خلال تمَكين الله تعالى لعباده، وقد صرَّحَ القرآنُ الكريمُ بوضوح عن العلاقة التَّلازمية بين الوراثة والتَّمكين، قالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ [القصص: ٥].

وفي آية أخرى قالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وقد ذكر (العلامةُ الطباطبائيُّ) أنَّ الآية مُطلَقةٌ، ولا مُوجبَ لتَخصيصها بإحدى الوراثتَينِ الدُّنيوية أو الأخرويّة، وإنْ كان ظهورُها بالوِراثة الدُّنيوية وحَملُها على زمان ظهور الإسلام أو ظهور الإمام المهدي(عج) أنسَبَ في المَقام، أمَّا الآية الثالثة المُتضمِّنةُ لمعاني الاستخلاف والوراثة والتَّمكين فهي قوله -تعالى-: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النّور: ٥٥].

إذ يذكر العلامةُ الطباطبائيُّ آراءَ المُفسِّرينَ مُناقشًا لها مُتوصِّلاً في نهاية بحثه إلى أنَّ "الآيةَ إنْ أُعطيَتْ حقَّ معناها لم تَنطبقْ إلا على المجتمع المَوعود، الذي سيَنعقدُ بظُهورِ المَهديِّ (عج)..."[1]، فالمُتأمِّلُ في الآية الشَّريفة لا بدَّ أن يَلحظَ بوضوح نوعيّةَ الوُعود الإلهيّة لمَن يَجمعُ بين رُكنَيِ الإسلام الأصيلَين، أي الإيمان والعمل الصالح، وهذه الوعود هي:

أ. الاستخلافُ في الأرض: وذلك لأجل إقامة حكومة العدالة الإلهيّة المُطلَقة التي لا تَشوبها شوائبُ الظُّلم والجَور.

ب. تمَكينُ الدِّين وتمَكُّنُه في النُّفوس الفرديّة والمجتمعيّة، بحيث يَنفذُ الدِّينُ بكلِّ أبعاده الماديّة والمعنويّة، ويَنبسطُ على أرجاء المعمورة، وتَحكمُ القوانينُ الشَّرعيّةُ الحَقّة في جوانب الحياة وأُطرِها المُتعدِّدة.

ج. تبديل الخوف بالأمن؛ حيث تزول كلُّ عناصر الخوف وأسبابُه، ويَحلُّ مكانَها الأمنُ والأمان والاستقرار الشّامل.

إنَّ كلَّ هذه العناصر تُبيِّنُ بوضوح عِظَمَ المُهمّة المَهدويّة الرَّبّانيّة وضخامتَها وكونَها مُتعدِّدةَ الجوانب جليلةَ الأهداف، فهي عمليةُ تَغيير شاملة للحياة الإنسانية، بل تحوُّلٌ كمِّيٌّ ونَوعيٌّ في معنى الحياة الإنسانيّة وعمارة الكون.

---

١ - محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٥٦.

## ● المبحث الثاني: المبادئ التأسيسيّة، الدولة المهدويّة كنموذجٍ أرقى للحياة الطيّبة.

### ١ - الدولة المهدويّة والحياة الطيّبة:

تمَّ التداول بكثرة في الأروقة الثقافيّة والفكريّة لمصطلح الحياة الطيِّبة، باعتبار جماليّته الشكليّة والمَضمونيّة، وكونه الهدف الغائيَّ لكثير من عمليّات وتراكيب الحياة الإنسانيّة، فهي النِّتاجُ الطَّبيعيُّ للعمل الصالح النَّابع من الإيمان، وهي المُرادِفُ لنمط الحياة الإسلاميِّ، وهي تَعني أنَّ المجتمع البشريَّ سيَعيش حينَها حياةً هادئةً مطمئنةً مليئةٌ بالرَّفاه والسِّلم والمحبّة والتَّعاون، وفي أمان من الآلام الناتجة عن الاستكبار والظُّلم والطُّغيان وعبادة الأهواء والأَنانيّة التي تملأ الدُّنيا، وصولاً إلى الجزاء الأحسن في عالم الآخرة. كما أنَّ الحياةَ الطيِّبةَ هي ذلك التَّجلِّي الواقعيُّ للحياة الاسلاميّة القائمة على أساس تعاليم وإرشادات الوَحي الإلهي، التي تبدأ في الدُّنيا وتَنتهي بالحياة الأخرويّة. يقول -تعالى-: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧].

والمُتأمِّلُ في الرِّويات الصَّادرة عن أهل البيت (عليهم السلام) يَلحَظُ التَّفسيرات المُتعدِّدةَ لمفهوم الحياة الطيِّبة، إلّا أنَّ هذه التَّفسيرات المُتعدِّدة تصبُّ الصَّبَّ المحوريَّ الذي مرَّ، أي كون هذ الحياة هي التي تنعكس إيجابًا على الأفراد، بحيث تَخلو من المُكدِّرات، فلا يكون هناك إلا ما

تَستلذُّ به النَّفسُ، وما تَطمح له العينُ، وما يَنعكس بالأخلاق الفاضلة والعلم النَّظريِّ والسلوك العمليِّ المُطابق له على الإنسان، وكلُّ هذا ليس إلّا نتيجةً للرُّكنَين الأصيلَين في الثَّقافة الحياتيّة والمُجتمعيّة القرآنيّة، وهما الإيمانُ والعملُ الصَّالح. فقد رُوي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام: سُئِلَ عَن قَوله تَعالىَ (فَلَنُحْيِيَنَّه حَياةً طَيِّبَةً)، فقالَ (سلام الله عليه): هِيَ القَناعةُ"[1]، أمَّا المعنى الثاني الذي وردَ في الرِّويات فهو الحصولُ على ما يُحبُّ الإنسانُ، بشرط ألَّا يكونَ عن طريق ما يَكرَهُ الله تعالى، فقد جاء في دُعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: "فأَحْيِني حَياةً طَيِّبةً تَنْتَظِمُ بما أُرِيدُ، وتَبلُغُ ما أُحِبُّ مِن حَيثُ لا آتي ما تكرَهُ، ولا أرتكبُ ما نَهَيتَ عَنه".

وفي دعاء آخَر:"واجعَلْني مِمَّنْ أطَلتَ عُمُرَهُ، وحَسَّنتَ عَمَلَهُ، وأتمَمتَ عَلَيه نعمتَكَ، ورَضيتَ عنهُ، وأحيَيتَهُ حياةً طيِّبةً في أدوَمِ السُّرورِ وأسبَغِ الكرامةِ، وأتَمِّ العَيشِ".

ويُمكِنُ الجمعُ بين هذه الرِّوايات بأنَّها تُريد أن تُقدِّمَ للإنسان المُؤمن نَموذجًا مُتوازنًا لكيفيّة الحياة، فالقناعةُ كنزٌ لا يَفنى، وبدونها سيَبقى الإنسانُ في حالة طلب حثيث للدُّنيا، بحيث لا يُرضيه شَيءٌ منها، ولا يُحقِّقُ في ذاته شرطًا ومُقوِّمًا أساسيًّا من مُقوِّمات الحياة الطيِّبة، ففي رواية لطيفة عن الإمام الصادق عليه السلام: "كانَ أميرُ المُؤمنينَ صلوات الله عليه يَقول: ابنَ

١ - السيد الرضي: نهج البلاغة، ج ٤،ص٥١

آدمَ! إنْ كُنتَ تُريدُ من الدُّنيا ما يَكفيكَ فإنَّ أيسَرَ ما فيها يَكفيكَ، وإنْ كنتَ إنَّما تُريدُ ما لا يَكفيكَ فإنَّ كلَّ ما فيها لا يَكفيكَ"[1]، وهذه القناعة لا تُنافي طلبَ الحلال، وإنْ كان بالحصول على كلِّ ما يُحبُّ الإنسانُ، فالمهمُّ أن يكون الطَّلبُ بالحلال، فقوامُ الحياة الطيِّبة هو الانتظام كما أراد اللهُ، فيُمكن للإنسان أن يَسعى لتحقيق الرَّفاهيّة والتطوُّر في مختلف المجالات الحياتيّة، ولكن مع بقائه مُلتزمًا بالشِّعار القرآنيِّ الرائد، قالَ اللَّهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

من هنا يُمكِنُ القولُ، واستنادًا إلى ما سيأتي من مبادئ ومقوّمات، أنَّ الدَّولةَ المَهدويّةَ ستُشكِّلُ النَّموذجَ الأهنأ والأرقى للحياة الطيِّبة، بحيث يُمكِنُ للإنسان والمجتمع من خلالها الوصولُ إلى العيش بحياة هادئة مُطمئنّة ملؤُها الرَّفاه والسِّلم والمحبة والتَّعاون، خاليةٍ من الآلام الناتجة عن الاستكبار والظُّلم والطُّغيان والتعصُّب والأنانيّة.

### ٢ - المبادئ التأسيسيّة للدولة المهدويّة:

إنَّ الدَّولة المَهدويّةَ بما تُمثِّلُه من وصول الاستخلاف البشري إلى مَداه الأخير، ووصول الاستكمال البشريِّ إلى ذروته، عبر تحقيق جميع

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص ١٣٨، ح ٦.

مفـردات الحياة الطيِّبة بأبهـى وأنقى درجاتِها، لا بدَّ أن تسـتندَ إلى مبادئ عامّـة وتأصيليّة، نابعةٍ من جوهر هذا الدِّين الإلهيِّ الذي تُريد أن تصل فيه إلى أعلى مستوًى في مقام التَّطبيق والعمل.

**أ- المبدأ الأول: العملُ بكتاب الله تعالى وسُنَّةِ المَعصومينَ (عليهم السلام):**

فلـكلِّ دولـةٍ أو نظـامٍ للحكم دسـتورٌ يُمثِّل البنيـةَ التحتيّة لـكلِّ تشريعاته وتفريعاتها، وبقدر التزام أركانِ النِّظام بهذا الدُّستور، ومتانة الأصل الفكريِّ له، يُكتَب له النَّجاحُ والدَّيمومة والبَقاء، فالدَّولة المَهدويةُ لها دسـتورُها الخاصُّ، الذي تَنبع منه بقيّةُ التَّشريعات، ويتمثَّلُ ذلك الدُّسـتور بمصدرَينِ أساسـيَّينِ، دلَّتِ النُّصوصُ على أن دولة الإمام المهديِّ (عجَّل الله تعالى فرجَه) تستند في تشريعاتهـا على هذَينِ المصدرَينِ، كما أنَّ الإمام المهديَّ (عجَّل الله فرجَه)، باعباره آخِرَ الأئمة المَعصومينَ (عليهم السلام)، يُمثِّل بنفسه مصدرَ التَّشريع.

عَن أَحمَدَ بنِ عُمَرَ قالَ: قالَ أَبُو جَعفَر (عليه السلام)، وأَتاه رَجُلٌ فقالَ لَه: إِنَّكُم أَهلُ بَيتِ رَحمَةٍ، اختَصَّكُمُ اللهُ -تَبارَكَ وتَعالَى- بها، فَقالَ (عليه السلام) لَه: «كَذَلكَ نَحنُ والحَمدُ لله، لا نُدخِلُ أَحَدًا في ضَلالَةٍ ولا نُخرِجُه مِن هُدًى، إِنَّ الدُّنيـا لا تَذهَبُ حَتَّى يَبعَثَ اللهُ عَزَّ وجَـلَّ رَجُلاً مِنّا أَهلَ البَيتِ، يَعمَلُ بِكِتابِ اللهِ، لا يَرَى فِيكُم مُنكَرًا إِلّا أَنكَرَه»[١].

ويَروي هِشـامُ بنُ سـالِمٍ، عَنِ الصّـادِقِ جَعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ، عَـن أَبِيهِ، عَن

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٥٢، ص ٣٧٨، ح ١٨٢.

جَدِّه (عليهم السلام)، قالَ: قالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله): «القائمُ من وَلَدي اسمُهُ اسمي، وكُنيَتُهُ كُنيَتي، وشَمائلُهُ شَمائلي، وَسُنَّتُهُ سُنَّتي، يُقيمُ النّاسَ عَلَىٰ ملَّتي وشَريعَتي، ويَدعُوهُم إلَىٰ كتاب رَبِّي -عزَّ وجلَّ-، مَن أَطاعَهُ فَقَد أَطاعَني، ومَن عَصاهُ فَقَد عَصاني، ومَن أَنكَرَهُ في غَيبَتِه فقَد أَنكَرَني، ومَن كَذَّبَهُ فَقَد كَذَّبَني، ومَن صَدَّقَهُ فقَد صَدَّقَني»[1].

**ب- المبدأ الثاني: العدالة الاجتماعيّة والنِّظام العادل:**

تُشكِّلُ ثنائيةُ الإيمان والعَدل جوهرَ الرِّسالات السَّماويّة المُختلفة، وخصوصًا رسالة الإسلام، بحيثُ تَرتبطان إحداهما بالأخرى ارتباطًا وثيقًا، وتَحكمُهما علاقةٌ جدليّةٌ في قمّة التَّميُّز؛ فالعَدلُ من أهمِّ تجلِّيات الإيمان بالله تَعالى والقرب منه: ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى**﴾ [المائدة: ٨]، فلا يُمكِنُ للفرد أن يَبلغ حقيقةَ الإيمان دون أن يكونَ عادلاً، إلّا أنَّ المفارقة الجوهرية بين المفهومين هي في كون مقولةِ الإيمان اختياريّة: ﴿**فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[الكهف: ٢٩]، و﴿**لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: ٢٥٦].

أمَّا مَقولةُ العدل فجَبريّةٌ، فيَجب إقامة العدل سواء على مَن قَبِلَ به أم لم يَقبَلْ، فبه تَقوم السَّماواتُ والأرض، ومن هنا كان على أيِّ مشروعٍ دينيٍّ أو ثقافيٍّ أو حضاريٍّ ألَّا يُغفلَ مقولةَ العدل، ويُركِّزَ فقط على الإيمان مع أهميّته، بل لا بدَّ أن يَسعى إلى تحقيق مقولةِ العدالة الشَّاملة والبنيوية،

---

١ - الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٣٩، ح ٦.

في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكثيرٌ من الجماعات، ومن مختلف الأديان، نجحَت في سَوق النَّاس إلى الإيمان، وإقامة الصَّلاة، ولكنَّها فشلَت في سَوقِهم إلى العدل وتجلِّيّاته، فالتَّركيزُ على الإيمان وتطبيقاته، وإغفالُ محوريّة العَدل، يُفرِغُ الإيمانَ من محتواه، ويَجعلُه ظاهرةً طقوسيّة شكليّةً، قد تُؤدِّي إلى الظُّلم والاضطهاد، ولنا في الخوارج وفِرَقِهم خيرُ مثالٍ على ذلك في التاريخ الإسلامي، وفي الجماعات التَّكفيريّة خيرُ مثالٍ في العصر الحديث، ومن هنا نَفهم ما قالَه الإمام عليه السلام: "لا تَغترُّوا بصَلاتِهم ولا بصِيامِهم، فإنَّ الرَّجلَ رُبَّما لَهِجَ بالصَّلاة والصَّوم حتى لو تَرَكَه استوحشَ، ولكنْ اختبِرُوهُم عند صدقِ الحديث، وأداءِ الأمانة"، فصِدقُ الحديث وأداءُ الأمانة من تجلِّيّات العَدل.

من هنا كان لا بدَّ من أُطروحةٍ تُحقِّق الخلاصَ الحضاريَّ للمجتمعات، عبر تطبيق العدالة الاقتصادية، والعدالة الاجتماعية، والعدالة في السِّياسات الضَّرائبية، وفي الأُعطيات (الأُجور)، وفي تَوزيع الثَّروات، وإيجاد الفُرَص، وتَحقيق التَّنمية العادلة في مختلف المجالات الاجتماعية، وليس ذلك إلّا عبرَ الأُطروحة المَهدويّة، فهي مشروعُ التَّغيير إلى العدالة في بُنى الاقتصاد والمال والسياسة، وفي منظومات الوَعي والفِكر والثَّقافة، بل في معايير صناعة الهويات والانتماءات، وفي طبيعة الانقسامات الأُممية والمجتمعية وتمايُزِها[1].

---

١ - راجع: محمد شقير: فلسفة المهدوية: العدالة ونهاية التاريخ.

لقد عبَّرَت بعضُ النُّصوص عـن كيفيّة تَطبيق العدالة من قِبَلِ الإمام (عج)، بأنَّه يقوم بالحقِّ، أو أنّه يَدعو النَّاسَ إلى الإسلام جديدًا، فقد رُوي عن محمد بـن عجلان، عن أبي عبد اللـه عليه السلام قال: إذا قام القائمُ (عليه السـلام) دَعا النَّاسَ إلى الإسـلام جديدًا، بل قد سُـمِّيَ بالقائم، لأنَّه يَقـوم بالحقِّ المُطلَق وعـلى جميع المسـتويات، وقد أشـارَت بعضُ النُّصـوص إلى أنَّ الله تعالى سـيَقطع حُجّةَ كلِّ مَن يدَّعي أنَّه لو أمسـكَ الحُكم لعَـدَلَ مثلَ عدالته (عجَّل اللـه فرجَه)، حيث رُوي عَنْ أَبي جَعْفَـرٍ عليه السلام، قالَ: "دَولَتُنا آخرُ الدُّوَل، ولَنْ يَبْقَى أَهْلُ بَيْتٍ لَهُم دَوْلَةٌ إلاَّ مُلِّكُوا قبلَنا، لئلاَّ يَقُولُوا إذا رَأَوا سـيرَتَنا: إذا مُلِّكْنا سِرْنا مِثلَ سِيرَةِ هؤُلاءِ، وهو قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿...وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

هذه الرِّواية تُشـير بوضـوحٍ إلى أنَّ بناء النِّظام العالميِّ على أسـاس من العدالـة لا يتـأتَّى إلاّ بعد فشـلِ جميع الأُطروحات البشريـة في تحقيقها، بحيث تكـون كلُّ الأنظمة على اختلاف توجُّهاتهـا الفكريّة والعقائديّة قد أدلَتْ بدَلوها، ولم تسـتطعِ الوصول إلى العدالة الكاملة، فأفضى ذلك إلى تشـكّل أزمة بنيويّة أو ما يعبّر عنه بالانسـداد الحضاريِّ، وهذا ما تُوضِّحُه روايـةٌ أخرى في هذا المجال: "عن الإمـام الصَّادق عليه السلام: «لا يكونُ هذا الأمرُ حتَّى لا يَبقى صنفٌ من النَّاس إلاَّ قد وُلُّوا على النَّاس، حتَّى لا يقولَ قائلٌ: إنّا لو وُلِّينا لعَدلنا، ثمَّ يقومُ القائمُ بالحقِّ والعدلِ"[2].

---

١ - الطوسي: الغيبة، ص ٤٧.

٢ - النعماني: الغيبة، ص ٢٨٢.

**ج- المبدأ الثالث: عالميّة الحكومة المهدويّة:**

إنَّ وجـودَ دُول متعـدِّدة، مـع اختلاف توجُّهاتهـا وسياسـاتها ومبادئها ومنطلقاتها، يُؤدِّي إلى كثير من المشـاكل والإشـكاليّات، التي تَنشـأ من التَّنافُس بينها، ومحاولة فرض الـرُّؤى والأفكار من قِبَل الدُّول القويّة على مَن هـو أضعَفُ منها، فضلاً عن محاولة اسـتغلالها واسـتعمارها بشـتَّى صنوف الاسـتعمار، وما نشهدُه وشهِدْناهُ من صراعات مختلفة بين الدُّول، أدَّت إلى حروبٍ عالميّةٍ طاحنة وكوارث مهولة وسـباقٍ إلى التسلُّح، قَضى ومـا زال يَقضي على الملايين من النـاس، هو من الأزمات الكبيرة التي لا بدَّ لها من حلٍّ جذريٍّ.

في مقابـل ذلك نجدُ فكرةَ العولمة وتَحكُّم القطبِ أو الأقطاب المُتعدِّدة بالعالم، وفقًا لمبدأ الترنسـدانس أو العلوّ والاستكبار، إنَّ الرُّؤية الإسلاميّة تقفُ مَوقفًا مُتحفِّظًا من مسألة العولمة؛ لأنَّها تهدف إلى فرض هوية ثقافية واحدة هي الهوية الغربية، وتُمارس عمليّةَ استلابٍ حضاريٍّ وتَنميطٍ لثقافة الشُّـعوب بما يَنسـجم مع الثقافة الغربية، من خلال تقنيـات المعلومات المُحتكَرة بيـد الشَّركات الغربية الكُبرى، التي سـلبَتْ من الآخرين فرصةَ المُنافَسة، حيث يُمكِنُ تَشبيه ما يَجري بالسِّباق في مضمار معيَّن، بحيث قد كسر أحدُ المُتسابقينَ أرجُلَ المُتسابقينَ الآخَرينَ، حتَّى قبلَ أن يَنطلقوا في السِّـباق، ثمّ بدأ يَتباهى بسَبقِه لهم وتقدُّمه الهائل عليهم، وهذا ما حالَ وما زال يَحول، وعلى مدى عقودٍ متطاولة، دون التَّثاقُف المُتوازِن بين الشعوب

والأمـم المختلفة، الـذي يتطلَّب تهيئةَ ظروف ملائمـة لحوار الحضارات بدلَ تَصادُمها وصِراعهـا، فأصبحَت الكياناتُ الاقتصادية الغربية العملاقة عبر الشَّركات المتعدِّدة الجنسـيّات مُكتسـحةً لكلِّ الأسواق ؛ فالعَولمةُ لا تُنتِـجُ دولةً عالميّةً مُنسـجمةً، يَسـودها نظامٌ وقانونٌ واحـد؛ لأنَّها تمُارِسُ أنواعًا مختلفة من القَسر والفَرض، تُؤدِّي إلى نشوء حالة من المُمانَعة عند الشُّـعوب المختلفة، تَدعوها إلى التمرُّد على مـا تُنتِجُه العَولمة من قوانين وأنظمة لإدارة العالم.

أمـام هاتَـينِ المُعضِلتَينِ تَبرُزُ أهميّـةُ طرحِ البَديلِ للشُّـعوب المَحرومة والمُسـتضعَفة، ولا بديلَ لها سوى دولة الإمام العالميّة، التي سوف تُحقِّق التَّقـارُبَ والتَّواصُل الحقيقيَّ بين الشُّـعوب، عبر تَرجيح سياسـة الاختيار والقناعـة على الفَـرض والإكراه والإجبـار في القيادة، بحيـث تَصِلُ هذه الدَّولةُ الإلهيّةُ المُبارَكةُ إلى العالميّة، وتتمكَّنَ من بسـط نفوذها وسـيادتها على جميع أنحاء المَعمورة. وقد دلَّت الرِّواياتُ المُتعدِّدةُ على سـعة مُلكه وسُـلطانه، كقول الإمام الباقر عليه السلام: «يَفتَحُ اللهُ لـه الرُّومَ والصِّينَ والتُّرْكَ والدَّيلَمَ والسِّندَ والهندَ وكابُل شاه والخَزَر»[1].

وقـول أمـير المؤمنين عليه السلام: «إذا بَعثَ السُّـفيانيُّ إلى المَهديِّ جيشًـا، فخُسِـفَ بهـم بالبَيداء، وبلغَ ذلك أهلَ الشَّـامِ، قالـوا لخَليفتِهم: قد خرجَ

١ - النعماني: الغيبة، ص ٢٣٨.

المَهديُّ فبايِعْهُ وادخُلْ في طاعته وإلا قَتلناكَ، فيُرسِلُ إليه بالبيعة، ويَسير المَهديُّ حتى يَنزِلَ بيتَ المَقدسِ، وتُنقَل إليه الخَزائنُ، وتَدخُل العربُ والعجمُ وأهلُ الحربِ والرُّومُ وغيرُهم في طاعتِه من غيرِ قتالٍ، حتى تُبنى المساجدُ بالقسطنطينيةِ وما دُونَها»[1].

١ - ابن طاووس: الملاحم والفتن، ج١، ص ١٣٦.

# الفصل الرابع:
# المَعالِمُ المُشكِّلة والمُمثِّلة للحكومة المَهدويّة

## ● المبحث الأوّل: مصيرُ غير المُسلمينَ في الدَّولة المَهدوية

**١ - كيفيّة تعامُل الإمام المهديِّ مع أتباع الديانات:** إنَّ السُّؤالَ المركزيَّ والأساسيَّ والإشكاليَّ، الذي اتَّخذَهُ البَعضُ وسيلةً لطرح الشُّبهات والإشكالات، هو كيفيّةُ تعامُلِ الإمام المهديِّ مع أتباع الديانات الأُخرى خصوصًا مع ما وردَ من أنَّه يَخرج بالسَّيف مثلاً ؛ وهنا لا بدَّ من التأكيد على أنَّ الخطوة الأولى التي سيَقوم بها (عجَّل الله فرجَه) تُجاهَهُم هي العمل على هدايتِهم، وذلك من خلال فتح باب النِّقاش العلميِّ معَهم، والعمل على إقناعِهم بالحقِّ، وهذا هو الطَّريق العَقلانيُّ والشَّرعيُّ المُفضَّل في سبيل الدَّعوة، قالَ جَلَّ في عُلاه: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: ١٢٥]. وممَّا يُشير إلى قيامه بهذه الخطوة هو ما ورد من أنَّه سيَعمد إلى الجلوس مع أهل الديانات، ويحاجُّهُم بكتُبهم التي يُؤمنونَ بها. كما ورد بعض الرِّوايات التي تُظهرُ أنَّ الإمام يَستخدمُ أحيانًا سلاحَ المَعاجز والكرامات لديه ولدى أتباعه، أمامَ الآخرين في سبيل تحقيق الغاية المَرجوّة، وهي حصول الهداية الطَّوعيّة إلى الدِّين، وهذا يُشير بوضوح إلى تعدُّد الطُّرق التي يَستعملها (عجَّل الله فرجَه) من أجل هداية النَّاس مهما كان توجُّهَهم، كما رُوي أنَّه (عجَّل الله

فرجَه) يُرسِلُ جنودًا إلى القسطنطينية، يمَشون على الماء، فتُفتَحُ المدينةُ سلمًا ومن دون قتال، فقد رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا قامَ القائمُ بَعَثَ في أقاليم الأرض في كُلِّ إقليم رَجُلًا، يَقُولُ: عَهدُكَ في كَفِّكَ، فإذا وردَ عَلَيكَ أمرٌ لا تَفهَمُهُ ولا تَعرفُ القَضاءَ فيه فانظُرْ إلىٰ كَفِّكَ واعمَلْ بما فيها، قالَ: ويَبعَثُ جُندًا إلىٰ القُسطَنطينيَّة، فإذا بَلَغُوا الخَليجَ كتَبُوا عَلىٰ أقدامهم شَيئًا ومَشَوا عَلىٰ الماء، فإذا نَظَرَ إلَيهمُ الرُّومُ يَمشُونَ عَلىٰ الماء قالُوا: هَؤُلاء أصحابُهُ يَمشُونَ عَلىٰ الماء، فكَيفَ هُو؟ فعندَ ذَلك يَفتَحُونَ لَهُم أبوابَ المَدينَة، فيَدخُلُونَها، فيَحكُمُونَ فيها ما يُرِيدُونَ»[1].

وكذلك ما وردَ في رواية أخرى عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنَّه إذا تناهَت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفعَ اللَّه تبارك وتعالى له كلَّ مُنخفِضٍ من الأرض، وخفضَ له كلَّ مُرتفِع، حتّى تكونَ الدُّنيا عندَه بمنزلة راحته، فأيُّكُم لو كانَت في راحته شعرةٌ لم يُبصِرْهُ"»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ذُخرٌ لصاحِبِكُم الصَّعبُ! قلتُ: وما الصَّعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعدٌ وصاعقةٌ أو بَرقٌ، فصاحِبُكُم يَركبُه، أمَا إنَّه سيَركبُ السَّحابَ ويَرقى في الأسباب؛ أسبابِ السَّماواتِ السَّبعِ والأرضينَ»[3].

---

١ - النعماني: الغيبة، ٣٣٣

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٨، ح ٤٨.

٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٣٤٤، ح ٣٤

كـما لا بدَّ من عـدمِ إغفالِ أنَّـه يَظهَرُ بحسـبِ دلالاتِ الرِّواياتِ المأثورة والمَشـهورة سـنخُ علاقةٍ مكينةٍ وحكيمةٍ تتجلَّى في آخـرِ الزَّمان بين خروج الإمـام المهدي (عجَّل الله فرجَه الشريف) وظهوره الشَّريف ونزول السـيِّد المَسيح عيسى بن مريم عليه السلام، بحيث تهدفُ هذه العلاقةُ الرَّبانيّةُ إلى إعلاء كلمةِ الإسـلام العزيز، وإقامة دولة العدل الإلهيِّ في الأرض قاطبةً، بما فيها الشُّعوب التي تُؤمِنُ بعقيدةِ السيِّد المسيح، وغيرها من بقيّة الأُمم.

**٢ - غلَبَة الإسـلام دينًا على غيره بالبرُهان اليَقيني:** لقد تعرَّضَت الرِّواياتُ المُعتـبرَةُ إلى بيان هذه الحقيقة القائمة على أسـاسٍ ثابت، يتمثَّلُ في غلبةِ المَهديِّ على الأُمم إمَّا بالسَّيف، وإمَّا بقبول النّاس له طوعًا واختيارًا، ونزولُ النبيِّ عيسى عليه السلام يكون له أثرٌ كبيرٌ في هداية جمعٍ كبير من المسـيحيِّينَ، حيـث يَرَونَ نبيَّهُم يأتَمُّ بالإمام المهديِّ (عجَّل الله فرجَه) ويَدعو إليه، فقد رُوي عن رسـول الله الأعظم (صلَّى الله عليـه وآله) أنَّهُ قالَ: «... المَهديُّ الذي يَملؤُها قِسـطًا وعَدلاً كما مُلئَت جورًا وظُلـمًا، والذي بَعثني بالحقِّ نبيًّـا، لو لم يبقَ من الدُّنيا إلَّا يومٌ واحدٌ، لطَوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ، حتَّىٰ يَخرُجَ فيه وَلدي المهديُّ، فيَنزلُ روحُ الله عيسىٰ ابنُ مريمَ، فيُصلِّي خلفَه، وتُشـرِقُ الأرضُ بنوره، ويَبلُغُ سلطانُه المَشرقَ والمَغربَ.

**٣ - السَّيفُ كرمز للقوّة والتطوُّر:** الرِّواياتُ الواردةُ عن أهل البيت (عليهم السلام) تُشير إلى أنَّ الآلةَ التي يَظهر بها الإمامُ ويُقاتِلُ فيها هي السَّيف، فقد ورد عن أبي بصير قال: "سـمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما تَسـتعجِلونَ

بخروجِ القائم؟ فو الله ما لِباسُه إلا الغَليظُ، وما طَعامُه إلا الشَّعيرُ الجشبُ، وما هو إلا السَّـيفُ"[1]. فالمُرادُ به على الأظهر كونُه أداةً من أدوات القوة، أي المَعنى الرَّمزي للسَّـيف التي تَختلف من زمان الى آخر، وعُبِّرَ بالسَّيف لأنَّه المصداقُ البارزُ آنذاكَ للقوّة والقِتال.

فالسَّيفُ كان وما زال يَرمزُ إلى القوة والقدرة العَسكرية على غرار «القلم» الذي يَرمز إلى العلم والثَّقافة، أمّا الافتراضُ بأنَّ هذه الأسـلحة التي نَعرفُها اليوم سوفَ تتوقَّفُ عن العمل عند خروجِ الإمام (عج) فهذا بعيدٌ، وهذا ما يُعبِّرُ عنه الشَّيخُ ناصر مكارم الشيرازي بقوله: "يُصرِّحُ العقلُ بأنَّ العودةَ إلى الوراء ليسـت مُمكنةً ولا مَنطقيّةً، وهذا خلافُ سُـنّة الخلقِ وأصلِ تكامُل الحيـاة؛ وعليه ليس هناك مـن دليلٍ على جمود المُجتمـع وايقاف عجلةِ تطـوُّرِه بُغيةَ تحقيـق الحقِّ والعدالـة، وأنَّ قيام المُصلـح العالميِّ الكبير، بهدف بسـط العَدل والحرية في كافّة أنحاء العالم، لا يُؤدِّي بأيِّ شكل من الأشكال إلى ركود أو إزالة الحركة الصِّناعية وما عليها من تطوُّر.

فالتَّطـوُّر الصِّناعيُّ الرّاهنُ لم يتمكَّنْ من حلِّ أغلب المُعضلات التي تُواجهُ الإنسـانَ في حياته فحسـب، بل كما ذكرنا في الأبحاث السـابقة فإنَّه يُشكِّلُ أحـدَ دعائمِ اسـتقرار الحكومة العالميـة الواحدة وتقريـب المناطق العالمية على صعيدِ الارتباط والعلاقات الاجتماعية، وهي الأمور التي يتعذَّرُ تَحقيقُها

١ - الطوسي: الغيبة، ص ٤٨٠، ح ٤٧٣.

دون التكامُل الصِّناعي. ولكن لا شـكَّ في أنَّ هذه الحركة والنَّهضة الصِّناعية والتكامُـل التِّقنـيَّ يَنبغـي أن يَخضـع إلى غربلـةٍ ليُنَقَّى من العوالق السَّـلبية والمُضِرّة، ويصبَّ في صالح الإنسان وتحقيق أهدافه في العدل والحرية، وهذا ما ستُمارسُه قَطعًا حكومةُ العدل. هذا بشأن التَّطوُّر الصِّناعيِّ والتِّقنيِّ"[1].

فالأصـلُ في حركة الإمـام السِّـلميّة والمُحاجَّة بالدَّليـل، وليس العنف والقتـل:" "إنَّـه سـيَبدأُ المُواجهةَ بادئ الأمـر من خلال الحـوار الفكريِّ، وفي كافّـةِ الأصعدة، أي على ضوء الاصطلاح الدِّينـيِّ، يُقيمُ الحجّةَ على الخصوم بحيث يَسـتجيب له كلُّ من امتلكَ بعضَ الاستعداد لقبول الحقِّ، فلا يَبقى سوى مَن لا تُجدي معَه نفعًا إلاّ القوّةُ. فالذي نَستفيده من القَرائن القائمـة على هـذا الموضوع- بغضِّ النَّظر عن دليله- أنَّ أسـلوبَه وسـيرتَه هي سـيرةُ رسـول اللَّه صلى الله عليه وآله... ولو كان الإسلام دينَ العُنف والقـوة لما غصَّ القـرآنُ بكلِّ تلك الأدلة والبرَاهـين لإثبات الحقائق، ولا سـيَّما في موضوعَـيْ معرفة اللَّه والمَعـاد، اللَّذَين يُشَـكِّلان أهمَّ المحاور الأساسـية للإسـلام، ولَمَا طالبَ أصحاب الفكر والعقل والمنطق بإصدار الأحـكام، ولَمَا تحدَّثَ بهـذه الطَّريقة عن العلم والمعرفـة، فالنِّظام الذي يتَّصف بالعُنف لا يَعرف من معنًى للدَّليل والبُرهان"[2].

وهناك عدّةُ موشِّراتٍ ورِواياتٍ تدلُّ على هذا الطَّابع السِّلميِّ الأصيل في

1 - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: الحكومة العالمية للإمام المهدي، ص 203.

2 - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: الحكومة العالمية للإمام المهدي، ص.ص. 211 - 212.

هذه الحركة، من ذلك أنَّه يُرسِلُ النَّفسَ الزَّكيّةَ للتَّعريف به وبحَركته، في محاولة للإقناع من دون قتال، ولو كان لا يَقبل توبةَ أحدٍ فلماذا يُرسِلُ لهم رسولاً من قِبَله مُحاولاً هدايتَهم للطَّريق الحقِّ.

وورد أيضًا أنَّ الحسنيَّ سيُطالِبُه بالدَّليل على أحقانيّته فيُثبتُ له ذلك. ففي روايةٍ طويلة جاءت في بحار الأنوار عن الإمام الصادق عليه السلام قال: فيَتَّصِلُ به [أي بالحَسنيِّ] وبأصحابه خبرُ المهديِّ عليه السلام، ويَقولون: يا ابنَ رسول الله، مَن هذا الذي قد نزلَ بساحتنا، فيقول: اخرُجوا بنا إليه حتى نَنظُرَ مَن هو؟ وما يُريد؟ وهو والله يَعلمُ أنَّهُ المَهديُّ، وأنَّه لَيَعرِفُه، ولم يُرِدْ بذلك الأمرِ إلاّ لِيُعرِّفَ أصحابَه مَن هو. فيَخرج الحسنيُّ فيقول: إن كنتَ مهديَّ آل محمَّدٍ فأينَ هراوةُ جدِّكَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وخاتمُه، وبردتُه، ودرعُه الفاضل، وعمامتُه السَّحاب، وفرسُه اليَربوع، وناقتُه العضباءُ، وبغلتُه الدّلدل، وحمارُه اليَعفور، ونجيبُه البُراق، ومصحف أمير المؤمنين عليه السلام؟

فيُخرِجُ له ذلك ثم يأخُذُ الهراوةَ فيَغرسُها في الحجرِ الصَّلد وتُورقُ، ولم يُرِدْ ذلك إلاّ أن يُري أصحابَه فضلَ المَهديِّ عليه السلام حتى يُبايعوهُ. فيقول الحسنيُّ: الله أكبَرْ، مُدَّ يدكَ يا ابنَ رسول الله، حتى نُبايعَكَ، فيَمدُّ يدَهُ، فيُبايِعُه ويُبايِعُه سائرُ العَسكرِ الذي مع الحسنيِّ..."[1].

---

١ - المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٥،

فقَبولُ الإمام المهديِّ (عجَّل الله فرجَه) بيعةَ جيشِ الحسنيِّ مُؤشِّرٌ واضحٌ على قبولِ توبتِهم وأوبتِهم إليه، فضلاً عن أنَّ مُطالبةَ الحسنيِّ إياهُ بإثبات أنَّه المهديُّ الحقُّ تكشفُ عن أنَّه (عجَّل الله فرجَه) سوف يَفتح البابَ لكلِّ مَن يشكُّ فيه ويَطلب الحقَّ أن يسألَه ما يشاءُ مما يُثبتُ به أحقانيّتَه[1].

نعم قد يكون آخرَ الدَّواءِ الكيُّ لمَن لا يَنفعُ معَه إلَّا ذلك، ويُصرُّ على محاربة الحقِّ ومجابهته بكلِّ الوسائل، كما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله بعد أن استنفدَ كلَّ الوسائل والطُّرق المُتاحة.

## ● المبحث الثاني: معالم الدَّولة المهدويّة

تقدَّمَ أنَّ الدَّولةَ المَهدويّة هي النَّموذج الأرقى للحياة الطيِّبة، وتوضَّتِ المبادئُ التي تَستند إليها هذه الدَّولة، ويجدر القولُ أنَّ معالمَ هذه الدَّولة ليسَت سوى المُفردات والتَّطبيقات الأمثَلِ لمفهوم الحياة الطيِّبة، ومن أهمِّ هذه النَّماذج التَّطبيقيّة:

### ١ - عموم الأمن والهدوء والسَّلام المجتمعيّ

إنَّ الدَّولةَ المَهدويّةَ كما مرَّ هي دولةُ العدالة الاجتماعيّة، إلّا أنَّ العدالة ليست كافيةً لتحقيق النَّموذج الأمثل للمجتمع الذي يَطمح إلى تشكيله الإمامُ المهديُّ (عجَّل الله فرجَه)، فالعدالة قد تَفقد قيمتَها إذا كانَت مشوبةً بالمُشاحنات والاضطرابات الاجتماعيّة، واللَّافتُ للنَّظر من التأمُّل في الرِّوايات الواردة في

---

١ -راجع: حسن عبد الأمير الظالمي: الطابع السلمي لحركة الإمام المهدي.

المقام أنَّ الأمنَ الذي تُشير إليه يَشمل كلَّ مناحي الحياة بلا استثناء، أي أمن الطُّرق وأمن النَّاس بشتَّى أجناسهم وأنواعهم، حيث إنَّ كلَّ صنوف الأمن تكون مُتحقِّقةً كالأمن الغذائيِّ والأمن الثقافيِّ والأمن البيئيِّ وغيره... بل حتّى هذا الأمن يعمُّ الحيوانات، فالإمامُ (عج) سيُوجِدُ الحلَّ لما تَعيشُه المجتمعات البشريّةُ اليومَ من فقدان الأمن والأمان في مختلف المجالات، حيث تَنتشر سرقةُ الأموال من البيوت والمَحلَّات، وسرقةُ السَّيارات والبنوك، وتقوم بهذه الأعمال عصاباتٌ ومافيات، فضلاً عن اختطاف النِّساء والأطفال والاعتداء عليهم، وصولاً إلى أبشع الصُّوَر المتمثِّلة تجارة الأعضاء البشريّة.

قد يقول قائلٌ كيف يمُكنُ للإمام أن يحلَّ هذه المشاكل المُستعصيةَ النَّابعةَ من غرائز الشرِّ المُتأصِّلة في نفوس بعض البَشر، وهل هذا يَحصل بسحرٍ ساحر؟ والجوابُ عن ذلك أنَّ كلَّ ذلك يَنتفي بانتفاء أسبابه ومقتضياته، ففُقدانُ الأمن في مجتمعاتنا المعاصرة يعود إمَّا الى الفقر والحرمان، أو إلى ضعف الايمان باللّه، أو الطَّمع في المَزيد من المال، أو خُبث النَّفس وانحراف السُّلوك، أو إلى ضَعف الحكومة بأنْ تكون عاجزةً عن ملاحقة المُجرمين.

أمّا في عصر الإمام المهديِّ عليه السلام فتَزول جميعُ هذه الأسباب؛ فالفقرُ يَنتفي من المجتمع ويعيش الجميعُ في رفاه ورَغَد، حتَّى إنَّ مُنادي الإمام المَهديِّ عليه السلام يُنادي: مَن له حاجةٌ إليَّ؟ فما يأتيه إلاَّ رجلٌ واحدٌ يُريد المزيد من المال، لا أنَّه فقيرٌ مَحروم. ويتركَّزُ التديُّن الحقيقيُّ وتقوى الله في القلوب، على أثر المناهج التَّربوية التي يُطبِّقُها الإمامُ في المجتمع،

وبذلك تَنتفي الجرائمُ التي تقع بسبب ضعف الإيمان باللّه تعالى، كما أنَّ كثيراً من النَّاس في زمن الظُّهور يَصلون إلى مراتب عالية من التكامُل العقليِّ والنفسيِّ والرُّوحي.

يُمكِنُ أن نَقرأ لذلك نموذجًا من الرِّوايات فيما جاء عن الإمام عليٍّ عليه السلام وهو قولُه: "ولو قد قامَ قائمُنا لأنزَلَتِ السَّماءُ قَطرَها، ولأخرَجَتِ الأرضُ نَباتَها، ولَذهبَتِ الشَّحناءُ من قلوب العباد، واصطلَحَتِ السِّباعُ والبَهائمُ، حتَّى تَمشي المرأةُ بين العراق إلى الشِّام، لا تضعُ قدمَيها إلاّ على النَّباتِ، وعلى رأسها زنبيلُها (زينتُها) لا يَهيجُها سبعٌ ولا تَخافه"[١].

أو كما رُوِيَ عن الإمام الباقر عليه السلام في حديثه عن الأمن والأمان في عصر الإمام المهديِّ عليه السلام: "وتَخرجُ العَجوزُ الضَّعيفةُ من المشرقِ، تُريدُ المَغربَ، لا يُؤذيها أحدٌ... "[٢].

**٢ - التقدُّم العلميّ والتِّقني الهائل والتَّنمية المُستدامة**

إنَّ بناء الدَّولة الحديثة، وإنتاجَ الحضارة التي تُريد أن تُقدِّمَ النَّموذجَ الأمثلَ لنظام الحُكم وللتَّقدُّم والازدهار الاجتماعي، لا بدَّ أن يكون مُستنِدًا للتقدُّم العلمي والمعرفي، فالجهلُ منشأٌ للكثير من الآفات على مختلف المستويات المعرفية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، والحياةُ لا تستمرُّ معه. وقد أبدعَ أميرُ المؤمنين في وَصفِه ووصفِ آفاتِه

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٦، ح ١١.
٢ - القندوزي: ينابيع المودة، ص ٤٢٣.

ومخاطـره قائلاً: "الجَهلُ مُميـتُ الأحْياءِ، ومُخَلِّدُ الشَّـقاءِ"[١]. بل دَيدَنُ القرآنِ وأحاديث أهل البيت (عليهم السـلام) قَرْنُ الحياةِ بالعلم، والجهلِ بالموتِ، حيـث يَصف أميرُ المؤمنين عليه السلام الجاهـلَ بقوله:" "الجاهِلُ مَيِّتٌ، وإنْ كانَ حَيًّا"[٢].

فالعِلـمُ هـو المِصبـاحُ الـذي يَكشـف الظُّلمات، وبـه تتطـوَّر جميعُ مناحـي الحياة، وهو الذي يَقضي على الفقـر والتخلُّف والتبعيَّة، ويُحقِّقُ السَّـعادةَ والرَّفاهيّـة الاجتماعيّة بتكامُله وانسـجامه مـع الدِّين والإيمان. فالدَّولـةُ المَهدويةُ هي دولةُ العلم والعمل، التـي تُحقِّقُ في طيّاتِها أركانَ التطوُّر، وتَصعد سـلَّمَ النَّجاحِ، وتَقود مركبَ الحضارة إلى شـاطئ الأمان والطمأنينة، والذي يَقود هذا المَركبَ الحضاريَّ هو قبطان السَّفينة وربّانُها الإمـامُ المهـديُّ (عجَّل الله فرجَـه). عَن أبي جَعفَر عليه السلام قـالَ: "إذا قامَ قائمُنـا وَضَعَ اللهُ يَدَه عَلَى رُؤُوسِ العِبـادِ، فجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُم، وكَمَلَت بِه أحلامُهُمْ".

فالإمامُ بنفسه هو من يَقود عمليّةَ التَّطوير الذِّهنيِّ والإنتاج المعرفيِّ، عبر إكـمال ما وصلَـت إليه البشريّةُ من تقدُّم في مختلـف المجالات، وآخرها الـذَّكاء الاصطناعيُّ، ففي الرِّواية عن أبي عبد اللـه عليه السلام أنَّه قال: «العلمُ سبعةٌ وعشرونَ حَرفًا، فجميعُ ما جاءَت به الرُّسُلُ حرفانِ، فلَم يَعرِفِ النَّاسُ

١ - الآمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، ج١، ص ٧٨.
٢ - علي بن محمد الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص ٦٥.

حتَّى اليوم غيرَ الحَرفَينِ، فإذا قام القائمُ عليه السلام أخرجَ الخمسةَ والعشرينَ حرفًا، فبَثَّها في النَّاس، وضمَّ إليها الحَرفَينِ، حتى يَبثَّها سبعةً وعشرينَ حَرفًا»[1].

من هنا فإنَّ الوصولَ بالعلوم والمعارف إلى غايتها القُصوى المُمكنة للبَشر لا يكون إلا على يدَي الإمام المهديِّ (عجَّل الله تعالى فرجَه)، فمستوى العلمِ والمعرفة الذي ستَصل إليه البشريةُ زمنَ ظهوره (عجَّل الله تعالى فرجَه) هو الأكملُ، وهو ما يُعبرِّ عنه أميرُ المؤمنين عليه السلام فيما رُوي عنه من أنَّ الإمامَ المهديَّ (عجَّل الله تعالى فرجَه) سيَختمُ كلَّ العلوم التي تكون مُفتتَحةً، ويُوصِلُها إلى نهايتها وغايتها المَنشودة في التَّفريع والتأصيل والمحتوى والمضمون، فقد رُوي عنه عليه السلام أنَّه قال لـ(كميل بن زياد): "يا كميلُ ما مِن علمٍ إلَّا وأنا أفتَحُهُ، وما مِن سرٍّ إلَّا والقائمُ عليه السلام يَختمُه"[2].

فإذا كملَت العقولُ والحُلوم، وفُتحَت العلومُ، يَصلُ الأفرادُ والمُجتمعاتُ إلى أعلى مراتبِ الرُّقيِّ العلميِّ، بحيث يُؤتى النَّاسُ الحكمةَ، أي عصارةَ التَّجارب الحياتية، وإفرازات الحوادث والنَّوازل، فيَتمكَّنُ كلُّ مَن تتوفَّر فيه ملكةُ النَّظر في المآلات، والرُّؤية الاستشرافيّة عن المستقبل، فعَن حُمرانَ بنِ أَعينَ، عَن أبي جَعفرٍ عليه السلام أنَّهُ قالَ:

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٣٦،ح ١٠٤.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٢، ح ٣٧.

"وتُؤتَونَ الحِكمـةَ في زَمانِه، حَتَّىٰ إنَّ المَرأةَ لَتَقضِي في بَيتِها بِكتابِ الله تعالىٰ وسُنَّةِ رَسُوله ﷺ"، بل في بعض النُّصوص ما يدلُّ على أَنَّ مَداركَ المؤُمنينَ سـتتطوَّرُ زمنَ الظُّهور المبُارَكِ؛ بحيـثُ يتمكَّنونَ من التَّواصُلِ المبُاشر مع الملائكة.

فعَـن أبي الحسـن الرِّضـا عليه السلام قـال: "إذا قـامَ القائـمُ، يأمُـرُ اللـهُ الملائكةَ بالسَّـلامِ على المؤمنين، والجلوسِ معَهم في مجالسـهم، فإذا أرادَ واحـدٌ حاجةً أرسـلَ القائمُ من بعضِ الملائكـة أنْ يَحملَه، فيَحملُه المَلَـكُ حتى يأتيَ القائـمَ، فيَقضي حاجتَه، ثم يَـردُّه. ومن المؤُمنينَ مَن يسـيرُ في السَّـحاب، ومنهم مَن يَطيرُ مع الملائكة، ومنهم مَن يمَشي مع الملائكة مَشـيًا، ومنهم مَن يَسبقُ الملائكةَ، ومنهم مَن تتحاكمُ الملائكةُ إليـه، والمؤمنونَ أكرمُ عـلى اللهِ من الملائكةِ، ومنهم مَـن يُصيرِّهُ القائمُ قاضيًا بين مائة ألف مـن الملائكة. وفي روايةِ المفضل بن عمر الطَّويلة مـع الإمامِ الصَّادق عليه السلام أنَّه قال له: يا سـيِّدي وتَظهَرُ الملائكةُ والجنُّ للنَّـاسِ؟ قال عليه السلام: إي واللهِ يا مفضل، ويُخالِطُونَهُم كما يكونُ الرجلُ مع جماعته وأهله."(١)

### ٣ - التطوُّر الصِّناعيُّ الهائل:

إنَّ التقـدُّمَ العلمـيَّ والرُّقـيَّ الفكـريَّ لا بدَّ أن يَسـتتبِعَ تطـوُّرًا صناعيًّا،

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٠، ح ١.

فالصِّناعةُ والزِّراعةُ تُشكِّلان العصبَ الأهمَّ للحياة البشريّة، خصوصًا في واقعنا المعاصر، فقد شكَّلَت الثَّورةُ الصِّناعيّةُ التي حصلَت في أوروبا مفصلاً أساسيًّا، بحيث أصبحَت كلُّ دولةٍ تُريد أنْ تُحقِّقَ النُّموَّ والتطوُّر لا بدَّ أن تُركِّزَ على هذا الجانب الحيوي، عبر تطوير الآلات الصناعيّة، وتطوير وسائط الإنتاج، وتَسهيل محطَّات الحياة من خلال الآلة، فلا بدَّ للدَّولة المهدويّة، باعتبارها تَبغي الرِّيادةَ وتَحقيق الحياة الطيِّبة، أن تُولي هذا الجانبَ الكثيرَ من الاهتمام، وقد أشارَتْ عدّةُ نُصوصٍ وروايات إلى مفردات هذا التطوُّر الصِّناعيِّ الهائل، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- ما دلَّ على دَيمومة النُّور والضِّياء، بحيث يُستغنى عن ضوء الشمس، فقد رُوي عن المفضل بن عمر الجعفيِّ، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: "إنَّ قائمَنا إذا قام أشرقَتِ الأرضُ بنُور ربِّها، واستَغنى العبادُ عن ضوءِ الشَّمس، وصار اللَّيلُ والنَّهارُ واحدًا، وذهبَت الظُّلمةُ..."[1].
- وعن أبي عبدِ الله عليه السلام أنَّه قال: "إنَّ قائمَنا إذا قامَ مدَّ اللهُ لشيعتنا في أسماعِهم وأبصارِهم، حتى يكونَ بينهم وبينَ القائم عليه السلام بَريدٌ، يُكلِّمُهم ويَسمعون ويَنظرون إليه، وهو في مكانه."[2].

إنَّ هذه النُّصوص لا تُفهَمُ فَهمًا حرفيًّا، وإنَّما بحَملِها على الكنايات

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٧، ح ٧٧.
٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٨، ص ٢٤١، ح ٣٢٩.

أو المجاز وما شابه ذلك من الأساليب البلاغية، وأمّا إذا أردنا أن نَحمِلَ الألفاظَ الواردةَ فيها على معانيها التي وُضعت لها فلا بدَّ من تقبُّلِ فكرةِ تغيرُّ القَوانين الطبيعيّة الحياتيّة السائدة في أيامنا، كوجود اللَّيل والظُّلمة، بحيث لا يَبقى إلاّ الضَّوءُ والنَّهار، أو قد يكون ذلكَ كنايةً عن التطوُّر الصناعيِّ الهائل، مع الأخذ بالاعتبار أنَّ النَّاسَ في زمن صدور النَّصّ لم يكن بوُسعهم فهمُ التطوُّر الهائل، ولذا استعمل المعصومُ الألفاظ التي يَفهمون معانيها، وهو يَقصد معانيَ متناسبة مع التطوُّر، فالراجحُ حملُها على معنى آخر متناسب مع التطوُّر العلميِّ والصِّناعي، وهو: أن تتطوَّرَ شبكاتُ الكهرباء، أو طاقةٌ أُخرى ستُكتشف في وقتها، بحيث تستمرُّ الإضاءةُ ليلاً، ويَستغني النَّاسُ عن الشَّمس، لأنَّ الإضاءةَ قويّةٌ ومستمرّةٌ، وتَعبير الرِّواية بأنَّ العباد يَستغنون عن ضوء الشَّمس لعلَّه يُؤيِّد هذا المعنى.

ونَحمل كذلك الرِّوايةَ الثانية على تطوُّر وسائل التَّواصُل، فنَحن نشهدُ اليومَ قفزات علميّةً هائلةً في شبكات الاتِّصال، فالعالَمُ أصبحَ قريةً كونيّةً صغيرةً، يمُكِنُ الاطِّلاعُ على أيِّ جزءٍ منها بنَقرةٍ على شاشة مُتاحة، وما زال العملُ جاريًا على اختراع أمورٍ جديدة، بحيث يَطرحُ بعضُ المُختصِّينَ إمكانيّةَ الوصول إلى عيشٍ عالَمٍ افتراضيٍّ كاملٍ، بكلِّ خصوصيّات العالَم الحقيقيِّ، فعبارةُ الرِّواية بأنَّ المسافةَ بينَ المؤمنِ وبينَ الإمام عليه السلام ستكونُ في زمنِ الظُّهور بمقدار بريدٍ، أي أربعة فراسخ، أي ما يقربُ من ٢٠ كم، ومع ذلك يَسمعونَ الإمامَ ويَنظرونَ إليه، قد يكونُ البريدُ فيها مثالاً لا

موضوعيّةً له، فيكون المَقصودُ هو سماع الإمام ورُؤيتُه من مسافات بعيدة، خاصّـةً مع وجـود بعض الاختلاقـات في مَتن الرِّواية، ففـي روايةٍ أخرى إضافـة (لا) قبل (يكون) أي هكذا: "حَتَّى لا يَكُونَ بَيْنَهُمْ وبَينَ القائمِ بَرِيدٌ، يُكَلِّمُهُمُ فيَسمَعُونَ ويَنظُرُونَ إلَيه، وهُو في مَكانه". والمقصودُ حينئذٍ هو أنَّ التواصُلَ بينهم يكونُ من دونِ حاجةٍ إلى (بريد) أي رسـولٍ يتوسَّطُ في نقلِ كلامِ بعضِهم إلى بعضٍ.

وفي روايـةٍ أخرى عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قـال: إذا قامَ القائمُ بعثَ في أقاليـمِ الأرضِ في كُلِّ إقليـمٍ رجلاً يقول: عهدُك في كفِّكَ، فإذا وردَ عليكَ أمرٌ لا تَفهَمُه ولا تَعرفُ القضاءَ فيه، فانظُرْ إلى كفِّكَ واعملْ بما فيها..."[1]. فهذا النصُّ يُشـيرُ إلى وجود شيء عندَ المؤمن يُجيبُه عن كلِّ سـؤالٍ يَرِدُ عليـه، وهذا قريب ممّا هو موجود في أيّامنا من الأجهزة الذكيّة، التي تَزداد كلَّ يـوم تطوُّرًا، بحيث أصبح كلُّ إنسـانٍ يَحمل في يـدِه جهازًا صغيرًا في الحجـم، ولكن في داخله الخدمات والاختيـارات الكثيرة التي تُمكِّنُه من معرفـة وانتقاء أيِّ معلومة يُريدُها، ولعلَّ ما ورد في الرِّواية قد يكون إشـارةً إلى نسخةٍ أكثر تطوُّرًا ودقّةً وتقنيّةً ممّا هو مُتوفِّر في زَماننا[2].

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٢ ، ص٣٦٥، ح ١٤٤.

٢ - راجع: سعيد العذاري: المعالم الاقتصادية والعمرانية في حكومة الإمام المهدي (عج).

**٤ - الرَّفاه الاقتصادي والتَّوزيع العادل للثَّروات:**

نحن نعيش اليوم في عصر التقلُّبات الاقتصاديّة المُتلاحقة، بما يَنتجُ عنها من أزمات أصبحَت غيرَ محصورةٍ بالدُّول الفقيرة والدُّول النامية، وخاصّةً دول العالَم القديم، أي إفريقيا وآسيا، بالإضافة إلى دول أميركا اللاتينيّة التي كانَت وما زالَت تُعاني من ظروفٍ مختلفة، أخطرُها الاستعمار من قِبَلِ الدُّول الكبرى، ونهبُ ثرواتها، فضلاً عن تقسيمها إلى دُويلاتٍ مُتفرِّقةٍ وفقَ مبدأ (فرِّقْ تَسُدْ)، فتَبرزُ مشاكلُ من قَبيلِ عدمِ توفُّر وحداتِ سكنٍ كافية للجميع، والدُّيون، والفقر، والبطالة، والعجز عن تأمينِ الأساسيّاتِ فضلاً عن الكماليات، بل باتَتِ الدُّولُ الكبرى، أي ما كانَ يُسمَّى بالمعسكر الغربي، عرضةً لهذه المَخاضات وما يَنتج عنها من التَّدهوُر الاقتصادي، وعدم استقرار أسعار الصَّرف، وتذبذب القوّة الشِّرائية للعُملات، وما حصل في الأزمة الاقتصاديّة الأميركيّة عام ٢٠٠٨م خيرُ شاهد، فضلاً عن الرُّكود الاقتصادي والتضخُّم، الذي شمل مختلف الدُّول، وخاصّةً الكبرى منها، إبّان أزمة كورونا وفي أثنائها، وكذلك ما حصل بعد ذلك من أزمات كبيرة في الطَّاقة وغلاء في الأسعار في كلِّ الدُّول الأوروبيّة بعد الأزمة الرُّوسيّة الأوكرانيّة.

إنَّ هذه المشاكلَ المُتعدِّدةَ كانت وما زالت تُثقلُ كواهل الكثيرينَ من بني البشر، حتَّى أصبحَتِ الرَّفاهيّة الاقتصادية حُلمًا وَرديًّا يُخالِجُ جميع المُستضعَفينَ أو ما يُسمِّيهم طه حسين في مجموعته القصصيّة (المُعذَّبونَ

في الأرض) في جميع أرجاء المعمورة، وبات هؤلاء يَرسمون لوحاتٍ خياليّةً بريشة هذه الأحلام، ويَنسجون لهم قُصورًا فارهةً على قارعة الوَهم، بل هم مُستعدُّونَ ليَركبوا في زوارق الموت في البحر طَمعًا في نيل حياة تَليق بهم كبشر في هذا العالم الظَّالِم والمتُوحِّش الذي يَنهشُ فيه القويُّ الضَّعيفَ.

إنَّ هذا الحلمَ لا بدَّ أن يأتيَ يومًا ويتحقَّقَ وإنْ طال به الزَّمن، والرَّفاهية الاقتصاديةُ وعدٌ إلهيٌّ وعدَ به المُنتظِرينَ والمؤمنينَ، يُحقِّقُه لَهم حال ظهور الإمام المهديِّ (عجَّل الله فرجَه)، فيَنسى هؤلاء المُعذَّبونَ معاناتَهم وما مرُّوا به من زلازل اقتصادية، ليَناموا قريري العيون على رَغدٍ من العيش، في ظلِّ دولته المباركة. ومن أهمِّ مظاهر هذه الرَّفاهيّة:

أ- تدفُّق الكنوز والخيرات والبرَكات على يَدي الإمام المهديِّ (عجَّل الله تعالى فرجَه)، فتَخرج كلُّ الخيرات والثَّروات الكامنة في باطن الأرض، وتمُطِرُ السَّماءُ وتُنزِلُ قطرَها، فقد رُوي عن محمد بن مسلم الثقفيِّ قال: سمعتُ أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) يقول: "القائمُ منّا مَنصورٌ بالرُّعب، مُؤيَّدٌ بالنَّصر، تُطوى له الأرضُ، وتَظهر له الكنوزُ، يَبلُغُ سلطانُه المشرقَ والمغربَ"[1].

وعن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام: "وتُظهرُ الأرضُ كنوزَها حتى يَراها النَّاسُ على وجهِها، ويَطلُبُ الرَّجلُ منكم مَن يَصِلُه بمالِه ويأخذُ

١ - الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٥٩، ح ١٦.

منه زكاتَه فلا يَجِدُ أحدًا يَقبل منه ذلك، استغنى النَّاسُ بما زرقَهُمُ الله من فَضلِه"[١].

ب- تقسيم الثَّروات وتَوزيعها بشكلٍ عادل:

إنَّ من أهمِّ المشاكل التي تُعاني منها مجتمعاتُنا المعاصرة هي سوءُ التَّوزيع، فمُعظَمُ الثَّروات مَحبوسةٌ تحتَ أيدي نسبةٍ ضئيلةٍ جدًّا من البشر، بل بعضُ التَّقارير تُشير إلى أنَّ ١ بالمئة من سكّان العالم يمَتلكون ٤٦ بالمئة من جميع الأصول الخاصة، و١٠ بالمئة يمَتلكون ٨٢ بالمئة من الثَّروة العالمية. وقد حاول الإسلام عبرَ فَرضِه سلسلةً من الضَّرائب الواجبة أو المُستحَبّة أن يَحُدَّ من هذا التَّفاوُت الطَّبقيِّ المُجحِف بحقِّ الكثيرين، حتَّى إنَّ بعضَ النُّصوص عدَّتْ فقرَ الفقراء بسبب تخلُّف الأغنياء عن إعطاء ما عليهم من حقوق، فقد رُوي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنَّ اللهَ سُبحانَه فَرَضَ في أموالِ الأغنياءِ أقواتَ الفُقَراءِ، فما جاعَ فَقيرٌ إلَّا بما مُتِّعَ به غَنِيٌّ، واللهُ تَعالى سائلُهُم عَن ذلكَ. ورُوي عنه عليه السلام أنَّه قال: إنَّ اللهَ فرضَ على الأغنياء في أموالهم بقَدْرِ ما يَكفي فقراءَهُم، وإنْ جاعُوا وعَرُوا وجهدُوا فبِمَنعِ الأغنياءِ، وحقٌّ على الله أن يُحاسِبَهُم يومَ القِيامةِ ويُعذِّبَهُم عليه[٢].

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٧، ح ٧٨.

٢ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٣٠٠، ح ١٥٠٥٩.

لذلك تَذكر النُّصوصُ الرِّوائيةُ أنَّ الإمام المهديَّ (عجَّل الله فرجَه) عندما يَظهر فسيكون من أُولى مهامِّه الأساسيّة أنَّه سيأخذُ الأموالَ من الأغنياء الفاحشينَ، ولو بالقوّة إذا اضطرَّه الأمرُ، عن عمر بن يزيد قال: "سمعتُ رجلاً من أهلِ الجبلِ يَسأل أبا عبد الله عليه السلام عن رَجُلٍ أخذَ أرضًا مَواتًا، تَرَكَها أهلُها، فعَمَرَها وأكرَى أنهارَها، وبَنى فيها بيوتًا، وغَرَسَ فيها نَخلاً وشجرًا؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: كان أميرُ المؤمنين عليه السلام يقول: مَن أحيا أرضًا من المُؤمنينَ فهي له، وعَليه طسقُها[1]، يُؤدِّيه إلى الإمام في حال الهُدنة، فإذا ظهرَ القائم عليه السلام فلْيُوطِّنْ نفسَه على أنْ تُؤخَذَ منهُ"[2].

فالرِّوايةُ تنصُّ بوضوحٍ على أنَّ الإمامَ يُريد من المؤمنين تَوطينَ أنفسهم على التَّضحية بالمصالحِ الفرديّة الضيِّقة لأجل مصلحة المجتمع والدَّولة، فيكونوا مُستعدِّينَ لتَسليم الأراضي التي يَملِكونَها للإمام المهديِّ (عجَّل الله فرجَه)؛ لأنَّهم يَعلمون أنَّ هدف الإمام من ذلك هو القيام بحركة إصلاحيّة اقتصاديّة، وهذه الحركة تبدأ من وضع خطّة واضحة تَضمَنُ إعادةَ تقسيم الثَّروات والأراضي بشكلٍ عادل بين جميع أفراد المجتمع، بحيث تكون كافيةً لسدِّ حاجات الجميع عبرَ القضاء على الاحتكار والجشع من قِبَلِ كثير من المالكين للأراضي، الذين يتحوَّلون إلى إقطاعيِّينَ يُشاركونَ النَّاسَ في أراضيهم بغير وجهِ حقٍّ، ويتحكَّمونَ برِقاب النَّاسِ فيما يُمكِنُ

١ - الطسق: كلمة فارسية معربة، وتعني: خراج الأرض.
٢ - الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٥٤٩، ح ١٣.

تَسميتُه بالاستعباد والاسترقاق بصبغتِه الجديدة، وقد عايشنا في بلادنا المشرقيّة سيطرةَ العائلات الإقطاعيّة وممارستها المُنافية لأبسط معايير حقوق الإنسان، وكذلك عاشَ ذلك الغربُ، حيثُ انقسم الجتمعُ إلى فئتَينِ مُتمايزتَين (البرجوازية) و(البروليتاريا)، وهذا الواقعُ جعلَ ماركس يطرحُ فكرةَ التَّناقُضِ المُستمرِّ بين هاتَينِ الطَّبقتَينِ، وُصولاً إلى انتصار الثانية على الأولى في نهاية المَطاف.

إنَّ هذه الخطّةَ الإصلاحيّة التي سيَقوم بها الإمام (عجَّل الله فرجَه) سيَنتجُ عنها عدالةٌ اجتماعيّةٌ غير مَسبوقة، ورفاهٌ اقتصاديٌّ يَشمل كلَّ فئات المجتمع، ولا يكون مَحصورًا بفئةٍ دون أخرى؛ ولذا تَذكر النُّصوصُ أنَّ الغِنى سيَعمُّ الجميعَ دون استثناء، إلى درجةِ أنَّ صاحب الزَّكاة لا يَجد فقيراً ليُعطيَه زكاةَ أموالِه، لأنَّه لا يَبقى فقيرٌ حتّى يُعطيَه الزَّكاةَ، وأنَّ مَن يُريد مالاً فإنَّه سيَجدُ الخَزائنَ مَفتوحةً له ليأخذَ منها بمقدار حاجتِه، فالإمامُ سيَقوم بكلِّ ما من شأنِه بناءُ دولة القانون والمؤسَّسات، بحيث يَعمل بصورةٍ تدريجيّة على تحقيق معالِم الاستقرار الأمنيِّ والاقتصادي[1].

ويَظهر من بعض النُّصوص أنَّ الإمام سيتَّبِعُ سياسةً ماليّةً واضحة، تَشمل تَوزيع رَواتبَ لجميع أفراد المجتمع، وهذه الرَّواتبُ قد تكون نصفَ شهرية أو نصف سنويّة، بحسب الحاجات والمستحقِّينَ، ففي الرِّواية عَن حُمرانَ بنِ

١ - راجع: عبد الحسين الأسدي: الدولة المهدويّة والحياة الطيّبة.

أعينَ، عَن أبي جَعفَر عليه السلام أَنَّهُ قالَ: «كَأَنَّني بدينكُمْ هذا لا يَزالُ مُتَخَضْخضًا، يَفحَصُ بدَمه، ثُمَّ لا يَرُدُّهُ عَلَيكُمْ إِلاَّ رَجُلٌ منَّا أَهلَ البيت، فيُعطيكُم في السَّـنة عَطاءَين، ويَرزُقُكُم في الشَّـهر رزقَـين، وتُؤتَونَ الحِكمَـةَ في زَمانه، حَتَّىٰ إِنَّ المرأَةَ لَتَقضي في بَيتها بكتاب الله تَعالىٰ وسُنَّة رَسُول الله صلى الله عليه وآله"[١].

وكذلك يَروي أبو سـعيد الخدريُّ (رضي الله عنه) قال: «قال رسولُ الله [صـلى الله عليه وآلـه]: أُبَشِّرُكُم بالمَهديِّ، يُبعَـثُ في أُمَّتي على اختلاف من النَّاس، وزلزال، فيَملأُ الأرضَ قِسـطًا وعدلاً، كما مُلِئَت جَورًا وظُلمًا، يَرضى عنه سـاكنُ السَّماء، وساكنُ الأرضِ، يَقسم المالَ صحاحًا. فقال له رجلٌ: ما صِحاحًا؟ قالَ صلى الله عليه وآله: بالسَّويّة بينَ النَّاس»[٢].

**٥ - بناء دولة المؤسَّسات وتَقويةُ البنى التَّحتيّة:**

إنَّ البنى التحتيّة مـن أهمِّ مُقوِّمات الدَّولة الحديثة والمُتقدِّمة، التي تُريد أن تكون فاعلةً ومُؤثِّرةً في تحقيق السَّـبق الحضـاريِّ، وبانعدامِ هذه البنى أو ضعفِها تَنعدمُ الرَّاحةُ، ويَذهب الاستقرار والأمن المُجتمعيّان، ومن أهمِّ تجلِّيّات هذ الدَّولة القويّة من الدَّاخل يُمكِن ذِكرُ:

أ. تعزيـز الأمـن الاجتماعي عبرَ تقويـة روابط الأُخـوّة، وتمكين الرَّوابـط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فبقَدرِ ما تتعزَّزُ وتتطوَّرُ هذه الرَّوابط يَقترب المجتمعُ من الطّمأنينة والرَّاحة، حيث تَذكر

---

١ - النعماني: الغيبة، ص ٢٤٣، ح ٣٠.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٨١.

بعـضُ النُّصوص نموذجًا جميلاً لهذا الاسـتتباب الأمني، فهي تُـصرِّحُ بأنَّ الرَّوابطَ الاجتماعيّةَ سـتكونُ على أعلى مسـتوياتها المُتصـوَّرة زمنَ الظُّهور، بحيث سـيَعُدُّ الفردُ كلَّ أفرادِ المجتمع عائلتَـه، يَحميهم ممَّا يَحمـي أباهُ وأمَّهُ وزوجتَـه ووَلَدَه، ويَدفع عـن الجميع ما يَدفع عنهم، فحينئذٍ يُسـافِرُ الرَّجلُ وهو مطمئنٌّ عـلى عياله، لأنَّهم لـن يَحتاجوا أحدًا، ويَأمنـون أذى الجميع، فكلُّ النَّاسِ إخوةٌ لهم، يسعون في تأمين احتياجاتهم المختلفة، ومساعدتهم في كلِّ ما يَحتاجونه من أمورٍ ومستلزمات معيشيّة.

يُـروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ أصحاب القائم عليه السلام يَلقى بعضُهم بعضًا كأنَّهم بنو أبٍ وأمٍّ، وإن افترقُوا عشـاءً التقَوا غُدوةً". إنَّ هذه الرِّوايـة تُبيِّنُ عُمقَ صلة الأُخوّة الإيمانيّـة التي تَحصل بينَ أفراد المجتمع الواحد، بحيثُ يتمنَّونَ أن يَبقَوا دائمًا في حالة تَلاق واتِّصال، فهم مِصداقٌ لـ"رُبَّ أخٍ لـكَ لَـمْ تَلِدْهُ أُمُّـكَ". وفي نفس الجوِّ نَرى روايةَ إسـحاق بن عـمّار:" كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام، فذَكرَ مُواسـاةَ الرَّجلِ لإخوانه وما يَجـبُ له عليهم، فدخلَني من ذلك أمرٌ عظيم، فقال عليه السلام:" إنَّما ذلك إذا قـام قائمُنا وجبَ عليهـم أنْ يُجهِّزوا إخوانَهـم وأن يُقَوُّوهُم"[1]. بل بعضُ الرِّوايات تُـصرِّحُ بأنَّ المُزامَلةَ والأُخوّةَ الإيمانيّـة تَصل إلى مرحلةٍ يَجيء

١ - الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج١٢، ص ٢٧، ح ٢.

فيهـا الأخُ إلى كِيـس أخيهِ فيَأخُذُ مِنْهُ حاجتَهُ، وهذا يُشـكِّلُ أعلى درجات الأُخوّة.

ب. أمـن الطُّـرق: إنَّ الأمـن في زمن الظُّهـور لا يَقتـصر على الأمن الاجتماعيِّ، بل يَشـمل الأمانَ من المخاطر، ومِـن قُطّاعِ الطُّرق، فقد بيَّنَـت الرِّواياتُ أنَّ الأمنَ لا يَنحـصر في المناطق التي يَقطن فيهـا النَّاسُ، بل يَشـمل حتى الطُّـرُقَ التي عادة ما تكـون مَوطنًا ومُستقَرًّا لقُطّاع الطُّرق والعصابات المُتنقِّلة.

ج. تحقيـق الأمن الصحّـيِّ وتطـوُّر العلاجات لمختلـف الأمراض والأوبئة: تمُثِّلُ المُشـكلةُ الصحيّة واحدةً من أهمِّ المشـاكل التي تقـضُّ مضاجـعَ المجتمعـات المعـاصرة، خصوصًا مـع وجود الأمراض المُسـتعصية والفتّاكـة، التي لم يَصل الطـبُّ الحديثُ حتّى الآن إلى إيجاد علاجاتٍ فعّالة لها، كمرض السَّرطان ومرض الإيدز، وكـم عانىَ البشرُ على مدار العصور والأزمنة من انتشـار الأوبئة الفتّاكة كالملاريا والطَّاعون، وصولاً إلى وباء كورونا الذي أرعـبَ المليـارات، وقتلَ الملايـينَ من البشر في سـنتَينِ تقريبًا، هـذا فضلاً عن أنَّ الكثير من النـاس لا يتمكَّنون من شراء الأدوية والعِلاجات حتّى للأمراض البسـيطة، بسـبب الفقر المُدقِعِ الذي يُعانونَ منه.

إنَّ كلَّ تلـك المخاوف سـتَنتهي عند ظهور صاحـب الزَّمان، عجَّل الله

تعالى فرجَه، فالأمراض ستَنعدم، والعاهات ستَذهب، فقد رُويَ عن الإمامِ عليٍّ بن الحسين عليه السلام أنَّه قال: «إذا قامَ القائمُ أذهبَ اللهُ عن كُلِّ مؤمنٍ العاهةَ، ورَدَّ إليه قوّتَهُ»[١]. وفي نقلٍ آخر عنه عليه السلام قال: "إذا قامَ قائمُنا أذهبَ اللهُ عن شيعتنا العاهةَ، وجعلَ قلوبَهم كزُبَرِ الحديدِ، وجعلَ قوّةَ الرَّجلِ منهم قوّةَ أربعينَ رَجلاً"[٢].

فالحالةُ العامةُ ستكون هي الصِّحة، وقد يكون السَّببُ في ذلك استمرارَ التطوُّرِ والتقدُّم الطبِّيّ، بحيث يتوفَّر العلاجُ لكلِّ الأمراض.

د. وضع خطّةٍ مُتقَنة لتَنظيم السَّير وإدارة الطُّرقات: إنَّ واحدةً من مشاكل الحياة الأساسيّة اليوم هي ضيقُ الطُّرقات وعدم استيعابها للنَّاس وآلاتهم، وهي تُؤدِّي إلى ازدحاماتٍ شديدة، تُثقِلُ كاهلَ النَّاس، وتُعيق تنقُّلاتِهم وأعمالَهم، كما تُؤدِّي إلى وفياتٍ كثيرةٍ جرّاء حوادث السَّير. ولكن في زمن الظُّهور ستَنتهي هذه المُشكلة أيضًا، لأنَّ الإمامَ (عجَّل الله فرجَه) سيُوسِّعُ الطُّرقَ الرَّئيسيّةَ، ويُنظِّمُ الحركةَ فيها، بحيث تقلُّ كثيرًا - إن لم تَنعدم- مشاكلُ السَّير والطُّرقات، كما أنَّ مسالة الامتيازات والتعدِّي على الأملاك العامّة البَحريّة والنَّهريّة، وفتح منافذ المياه على الطُّرقات، المؤدِّي إلى تلوُّثِها والتَّقليل من صلاحيّتِها، بل إلى تَلفِها والإضرار بها،

١ -النعماني: الغيبة، ج ١، ص ٣٣٠، ح ٢.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٧، ح ١٢.

بالإضافة إلى عدم صيانة الطُّرقات وتَركِ الحُفر فيها، كلُّ ذلك سيَمنعُه الإمامُ المهديُّ (عجَّل الله فرجَه)، لِيَجعَلَ الطَّريق سالكةً من دون مُعوِّقات. وفي ذلك رُوي عن أبي جعفر عليه السلام: "إذا قام القائمُ... وسَّع الطَّريقَ الأعظمَ، وكسرَ كلَّ جناحٍ خارجٍ في الطَّريق، وأبطلَ الكنفَ والمَيازيبَ إلى الطُّرقات"[١].

وفي مقام تَنظيم السَّير وتَطبيق قوانينه، يأمرُ الإمامُ (عجَّل الله فرجَه) أصحابَ المركبات، (وقد عبَّرَ عنهُم النصُّ بالفرسان)، بالسَّير في وسط الطَّريق، فإن ساروا في أطرافِه ودَهسوا شخصًا فعليهم الدِّية، ويأمرُ النَّاسَ بالسَّير في أطرافه، فإن ساروا في وسطِه ودُهسوا فلا ديةَ لهم، فقد رُوي عن علي بن سويد، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «إذا قام قائمُنا عليه السلام قال: يا معشرَ الفُرسان، سيروا في وسطِ الطَّريق، يا معشرَ الرّجال، سيروا على جَنبَي الطَّريق، فأيُّمَا فارسٍ أخذَ على جنبَي الطَّريق فأصابَ رجلاً عيبٌ ألزَمْناهُ الدِّيةَ، وأيُّما رجلٍ أخذَ في وسط الطَّريقِ فأصابَه عيبٌ فلا ديةَ له»[٢].

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٩، ح ٨٤.
٢ - الطوسي: تهذيب الأحكام، ج ١٠، ص ٣١٤، ح ١٠.

## خاتمة:

إنَّ ما يمرُّ به عالمُنا المعاصرُ من أزمات مُتلاحقة ومُتتالية يُبرزُ أهميّةَ السَّعي نحوَ تحقيق إرهاصات اليَوم المَوعود، الذي سوفَ تتخلَّص فيه البشريّةُ المُتعَبةُ من كلِّ هذا الإرهاق، وهذه الإرهاصات، وإنْ كان بعضُها سلبيًّا بطبيعته، كاختلال الأوضاع الأمنية، وسيادة التديُّن القشريِّ وتَراجع الحالة الدِّينيّة، وتردِّي المستوى الاقتصادي، وانتشار الجوع والفقر بين الناس، باعتبار أنَّ هذه الأمورَ ناتجةٌ من التَّزاحمات الفرديّة والاجتماعيّة، الواقعة في صلب الاجتماع الإنسانيِّ؛ حيث إنَّ بعضَ النَّاس تَغلبُ فيهم النَّزوعات الشِّريرة، فتَطمس فطرتَهم النقيّةَ، فيَميلون إلى الظُّلم والتحكُّم برقاب النَّاس، إلّا أنَّ كثيراً من الإرهاصات الإيجابيّة يَبقى على المؤمنين واجبُ تَحقيقها، وجعلِها تَطفو على السَّطح، وأهمُّ هذه الإرهاصات:

١. البَصيرة والتفكُّر بالأمور عبرَ العلم بالزَّمان والمكان، وتحليل الأحداث، وعدم الأخذ بالقُشور والظَّواهر، فالعالَم بزَمانِه لا تَهجُم عليه اللَّوابس.

٢. جهاد التَّبيين عبر تصدِّي كلِّ فردٍ، بحسب وظيفته ومقدرته وعِلمه، لتَبيين الدِّين والحقِّ والردِّ على الشُّبهات والأفكار الخاطئة، سواء في السَّاحة الحقيقيّةِ أم في السَّاحة الافتراضيّة.

٣. العمـل على تَرويج فكرة الانتظار المُوجَّـه والفَعّال، وليس الانتظار التَّقاعسي أو المُخرِّب، عبر تعميق فكرة الانتظار بكلِّ أبعادها الفكريّة والنفسيّة والسلوكيّة، بما تتضمَّنُه من تعزيزٍ للارتباط العاطفيِّ بالإمامِ المَهـديِّ (عج)، والالتزام بالأحكام الشَّرعيّـة عبر الارتباط بالفُقهاء العُـدول، بالإضافـة إلى مقارعة قوى الظُّلم والاسـتكبار في شـتَّى الميادين الخَشنة والنَّاعمة.

٤. التَّركيز على فكرة سـننيَّة الحركة المَهدويّة بمُختلَفِ أبعادِها، سـواء مـا يَرتبط بالانتظـار أو الظُّهـور أو الدَّولة ومُقوِّماتهـا، بما يَنعكس على جانب السَّـعي على بلورة عواملَ تَفعيليّة للظُّهور، سـواء على المستوى الفردي أم المستوى الجماعي، عبرَ نشر الفِكر المَهدويِّ، وصَبغه بالصّبغة العالمية، وإضفاء النَّسق الحضاريِّ على مُندرجاته.

إنَّ هـذه الدَّولةَ المَهدويّـةَ المُتحقِّقةَ فيها كلُّ تلكَ الإرهاصات ستَسـتندُ إلى عدّةِ مبادئ، وسيَكون لها عدّةُ معالِمَ بارزةٍ:

١. المبـادئ العامّـة لهـا هي مبـدأ الحَتميّـة التاريخيّة والاسـتخلافُ والتَّمكين، والمبادئ الخاصّة لها كون دستورها هو كتاب الله تعالى وسـنّةُ المَعصومينَ (عليهم السلام)، وكونها مُرتكِزةً في فلسفتِها إلى العدالة الاجتماعيّة، وتحقيق النِّظام العادل، وكونها دولةً عالميّة.

٢. إنَّ هذه الدَّولةَ ستُشـكِّلُ النَّموذجَ الأرقى للحياة الطيِّبة، عبر تكوُّنها من عدّة معالِمَ ومُشخّصاتٍ بارزة:

١ - عموم الأمن والهدوء والسَّلام المجتمعيّ.
٢ - التقدُّم العلميّ والتِّقني الهائل والتَّنمية المُستدامة.
٣ - التطوُّر الصِّناعي الهائل والرُّقيّ الفكري.
٤ - الرَّفاه الاقتصاديّ والتَّوزيع العادل للثَّروات.

# المصادر والمراجع.


- ابن خلدون، مقدمة تاريخ ابن خلدون، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية، هـ.ق١٣٧٦.
- ابن طاووس، التشريف بالمنن في التعريف بالفتن المعروف بالملاحم والفتن، ط١، مؤسسة صاحب الأمر، ١٤١٦هـ.
- أرسطو، السياسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ترجمة أحمد لطفي السيّد.
- أفلاطون، الجمهوريّة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ترجمة حنّا خبّاز.
- الأسدي، عبد الحسين، «الدولة المهدويّة والحياة الطيّبة»، بحث مقدّم لمؤتمر معالم الحياة الطيّبة عند أهل البيت (عليهم السلام)، ٣آذار، ٢٠٢٤م.
- الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط١، مؤسسّة أهل البيت لتحقيق التراث.

- السادة، مجتبى، تعريف المهدوية للحضارات الأخرى، ط١، أطياف للنشر والتوزيع القطيف، ١٤٤١هـ.
- الصدر، محمّد باقر، السنن التاريخيّة في القرآن، ط١، أعاد صياغة عباراته وترتيب أفكاره: محمد مهدي شمس الدين، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، ١٤٣٢هـ.ق - ٢٠١١م.
- الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧م.
- الصدر، محمد صادق، تاريخ الغيبة الكبرى، دار التعارف، بيروت، لبنان.
- الصدوق، محمدبن علي بن الحسين، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،١٤١٧هـ.
- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج، ط١، مشهد، المرتضى، ١٤٠٣هـ.
- الطوسي، الغيبة، مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، قم ١٤١١ هـ، ط١.
- الطُّوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٤ ش.

- الظالمي، حسن عبد الأمير، الطابع السلمي لحركة الإمام المهدي، مجلة الانتظار. العدد: ٧/ شوال / ١٤٢٧هـ.
- العبيدي، خالد فائق، القوانين القرآنية للحضارات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- العذاري، سعيد، المعالم الاقتصادية والعمرانية في حكومة الامام المهدي(عج)، مقال منشور على موقع مؤسسة أينده روشن.
- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح علي أكبر الغفاري، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.
- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة، الأطهار، تصحيح: محمد باقر البهبودي ط٣، دار إحياء التراث العربي.
- المصطفويّ، الشيخ حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط١، مؤسّسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ١٤١٧هـ.ق.
- المطهري، مرتضى، المجتمع والتاريخ، دار المرتضى ـ بيروت، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م.
- - النعماني، ابن أبي زينب، الغيبة، ط١، تحقيق: فارس حسون كريم، منشورات أنوار الهدى، ايران - قم،١٤٢٢هـ.
- الواسطي، علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ط١، قم/

إيران، سنة ١٤١٨ هجرية.
- بدوي، ثروت، النظم السياسيّة، مكتبة النهضة العربية ومصر، القاهرة، ١٩٥٧م.
- بن علي قيدارة، الأسعد، النظريّة المهدويّة في فلسفة التاريخ، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط١٤٣٢، ١هـ.
- شقير، محمد، «فلسفة المهدوية: العدالة ونهاية التاريخ»، مجلة الموعود، العدد ٥/ ذو القعدة/ ١٤٣٩هـ.
- فوكوياما، فرنسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة مطاع صفدي، ط١، بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٩٣م.
- مطهري، مرتضى، نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، تعريب محمّد آذرشب، ط٢، طهران، مؤسسة البعثة، ١٤٠١هـ.
- مكارم الشيرازي، ناصر، الحكومة العالميّة للإمام المهدي (عج)، ط١، مدرسه الإمام على بن أبى طالب(ع).
- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- الآصفي، محمد مهدي، الانتظار الموجه دراسة في علاقة الانتظار بالحركة، مجمع أهل البيت (ع)، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

# الفهرس


مقدّمة ..... ٥

الفصل الأوّل ..... ٩
إرهاصات الدَّولة المَهدويّة

المبحث الأوّل ..... ١١
الإرهاصات المُستلزِمة للتَّغيير في الدَّولة المهدويّة

المبحث الثاني ..... ٢١
كيفيّة تحقيق الإرهاصات الإيجابيّة لدولة الإمام (عج)

المبحث الثالث ..... ٣٠
عوامل تَعجيل الفَرج

الفصل الثاني ..... ٤١
العوامل التفعيليّة للفرج على مختلف المستويات

المبحث الأوّل ..... ٤٣
عوامل التَّفعيل للفَرج على المُستوى الفرديّ

المبحث الثاني ..... ٥١
العوامل التَّفعيليّة على المستوى الجماعي

**الفصل الثالث** ..... ٧٣
**الحكومة المَهدويّة: مبادئ النَّموذج وسياقاته**

**المبحث الأوّل** ..... ٧٥
**ضرورات الدَّولة المَهدويّة وسياقاتها التَّاريخيّة**

**المبحث الثاني** ..... ٨١
**المبادئ التأسيسيّة، الدولة المهدويّة كنموذجٍ أرقى للحياة الطيّبة**

**الفصل الرابع** ..... ٩١
**المَعالِمُ المُشكِّلة والمُمثِّلة للحكومة المَهدويّة**

**المبحث الأوّل** ..... ٩٣
**مصيرُ غير المُسلمينَ في الدَّولة المَهدوية**

**المبحث الثاني** ..... ٩٩
**معالم الدَّولة المهدويّة**

**الخاتمة** ..... ١١٨

**المصادر والمراجع** ..... ١٢١

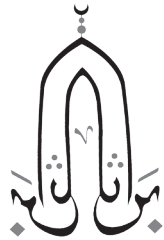


هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والانساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

لَطالما شـكَّلَت قضيّةُ المُخلِّص الأُمميِّ تَجلِّيًا لِفطرةٍ تَتوق إلى الوصول لذلك اليوم الذي سـوف تتخلَّص فيه البشريّةُ المُتعَبة من شَـقائها وآلامها، عبر إنشاء دولةٍ عادلة، بما لَها من خصائص العَدل ومعالمه.

إنَّ إرهاصـات هذه الحكومة، وإن كان بعضُها سـلبيًّا ناتجًا عن التَّزاحماتِ في الواقع الإنسـانيِّ، إلّا أنَّ كثـيراً من الإرهاصات الإيجابيّـة يَبقى على المؤمنين واجبُ تَحقيقها، عبرَ البَصيرة والعِلم، وجهاد التَّبيين والتَّبصير، والتَّرويج لفكرة الانتظار العالَمـيِّ المُوجَّه والحضاريِّ، المُرتكِز على سُـنن الحركة المَهدويّة، والمُستنِد إلى مبادئ عامّة، كمبدأ الاسـتخلاف والتَّمكين والحَتميّة التَّاريخيّة، ومبادئ خاصّة، تتمثَّل في الرُّجوع إلى كتاب الله والسُّنّةِ المُطهَّرة، بحيث تكون هذه الدَّولةُ النَّموذجَ الأرقى للحياة الطيِّبة.

• الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز •

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد